محمد توفيق

مصر بتلعب!

كيف تحول الشعب المصرى إلى جمهور ؟

الطبعة الثانية

دار المصري للنشر

الإهداء

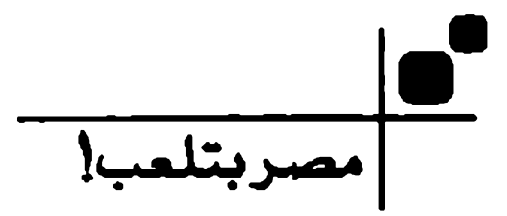
إلى أستاذى إبراهيم عيسى الذى كنت أتمنى أن أقابله صدفة فأصبحت تلميذا له

وإلى خالى حسن عبد المجيد الذى علمنى أن الخال والد

شكر واجب

إلى أصدقائى الأديب خالد إسماعيل الذى قرأنى
قبل ان يقرأ لى

والساخر محمد هشام عبية والموهوب أحمد الليثى

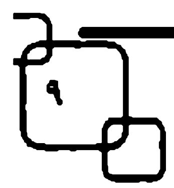


مصر بتلعب!

أيوه "مصر بتلعب!".. منذ تحولت مباريات كرة القدم إلى معارك حربية، وأصبحت "الهواية" احترافاً.. و"الفوز" انتصاراً تاريخياً.. و"الخسارة" هزيمة مدوية.. و"الهدف" قاتلاً.. و"اللاعب" رمزاً.. و"المدرب" فيلسوفاً.. و"المحلل" مفكراً.. و"المعلق" إعلامياً.. و"حارس المرمى" السد العالى.. و"خط دفاع الفريق" الحصن المنيع.. و"خط الوسط" منطقة المناورات.. و"خط الهجوم" قوة لا تقهر.. و"اللاعبون البدلاء" الاحتياطى الإستراتيجى.. و"ضربة الجزاء" عدالة السماء.. و"هداف الفريق" بطلاً قومياً.. و"البطولة الكروية" إنجازاً حكومياً.. و"التدريبات" معسكرات لا يجوز اختراقها.. و"المنافسون" أعداء.. و"الملعب" ساحة معركة.. و"الشعب" جمهوراً.

نعم مصر بتلعب !

منذ أن نامت فى تلك الليلة مبكرا !



نامت مصر، ونحن في يوم الجمعة و مازلنا في فصل الشتاء، في الواقع نحن في يوم ٩ من فبراير سنة ١٩١٧

في هذا اليوم.. كانت مصر على موعد مع أول مباراة في تاريخ كرة القدم بين الأهلي والزمالك (المختلط وقتها) وأقيمت المباراة يوم الجمعة ٩ من فبراير على ملعب نادى الزمالك في شارع فؤاد وفاز فيها الأهلي ١/ صفر، وبعدها بشهر واحد فقط أقيمت المباراة الثانية في ٢ من مارس على ملعب النادى الأهلي وفاز الزمالك بنفس النتيجة، وحكم المباراتين الضابط البريطاني تريمان ليبدأ أشهر دربي في مصر وإفريقيا والعالم العربي.(١)

في هذا التوقيت.. كانت تُلعب على أرض مصر مباراة أخرى لكننا لم نشارك فيها؛ فقد كانت من طرف واحد في اللعب لكنها أصبحت من طرفين في النتيجة، لأننا دفعنا ثمن تلك النتيجة.. إنها أخطر مباراة خسرناها دون أن نلعبها.. تلك المباراة التي دارت كل أحداثها في الكواليس ومازالت نتيجتها محفورة في الأذهان وباقية رغم مرور ٩٣ عاماً عليها، لكن خرجت تفاصيلها للنور ، بعد ٩ أشهر فقط من أول مباراة بين الأهلي والزمالك في التاريخ وتحديداً يوم ٢ من نوفمبر.

في هذا اليوم.. أعلن آرثر جيمس بلفور – وزير خارجية بريطانيا – وعده إلى الزعيم اليهودى اللورد روتشيلد بتأسيس وطن لليهود في فلسطين بعد موافقة ثلاث دول على تنفيذ هذا الوعد المشئوم (وعد من لا يملك لمن لا يستحق) هي الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإيطاليا.

---

(١) حسن المستكاوى : الأهلي (١٩٠٧_٢٠٠٧)، دار الشروق

في نفس اليوم.. بدأ الجنرال اللنبى قائد الجيش البريطانى الزحف نحو فلسطين ليحتل غزة يوم الأربعاء ٧ من نوفمبر، ثم يغتصب بعدها القدس في ٩ من ديسمبر ويقول: "انتهت الحروب الصليبية، وها قد عدنا يا صلاح الدين ".(١)

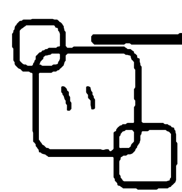
وعلى الجانب الآخر.. كان السلطان أحمد فؤاد يحكم مصر خلفا لأخيه السلطان حسين كامل بعد أن نصبته إنجلترا سلطانا قبل أقل من شهر، ليقوم في اليوم التالى بكتابة خطاب تكليف الحكومة ويقول فيه " قد تولينا الحكم بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على أن يكون العرش من بعدنا لورثتنا طبقا للنظام الوراثى الذى بيننا وبينها"، و لم يكتف أحمد فؤاد بذلك بل أصدر مرسوماً سلطانيّاً يعد المتطوعين للعمل في الجيش الإنجليزى بكثير من الامتيازات.

هنا أصبح السيناريو جاهزا وينتظر المُخرج.. فالحرب العالمية مشتعلة بعد أن أعلنت ألمانيا أنها لن تستثنى أى دولة من ضرب سفنها- حتى لو كانت محايدة- مادامت في مناطق الحرب مما جعل الولايات المتحدة تعلن اشتراك أسطولها في المعارك الدائرة، في حين استولى البلاشفة في روسيا بقيادة الزعيم الشيوعى "لينين" على السلطة ليقيموا أول دولة للعمال في التاريخ، بينما كانت وزارة المالية المصرية تعلن عن رغبتها في شراء حمير وغيرها من الدواب من أجل دعم الجيش الإنجليزى في الحرب.

منذ ذلك التاريخ عرفت مصر اللعب، وبدأ "الشعب" المصرى يتحول تدريجيا إلى "جمهور" خاصة بعد أن قام الاحتلال البريطانى بتغيير نظام

---

(١) سعيد هارون عاشور : أخبار المصريين، مكتبة الآداب، ص ١٩٢

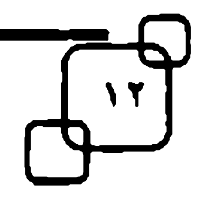


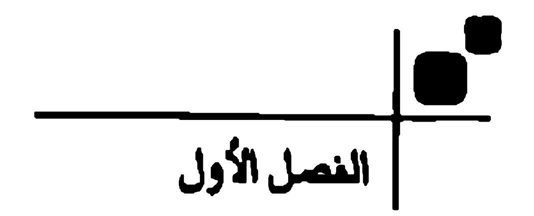
امتحانات الثانوية العامة ليصبح لكل طالب رقم "جلوس" خاص به، ولا يحق للممتحنين أن يسألوا أحدا من الطلاب عن اسمه ولا عن المدرسة التي هو منها وذلك لبث "الرعب" في قلوب الطلاب وأولياء الأمور وإضفاء "هالة "من "القداسة " على الامتحانات(١) التي أصبحت تعتمد على "الحفظ والتسميع" وبالتالي بدأت النتائج تسوء وترتفع نسب الرسوب بين الطلاب وبدأت الصحافة الوطنية تفضح أساليب الاحتلال لتبقى الروح الوطنية صامدة - رغم أن السيناريو كان مُحكماً من جانب الصهاينة - فانطلقت ثورة ١٩١٩ بقيادة الزعيم الوطني سعد زغلول وخرج فيها الشعب الذى لم يخرج من قبل.

هي دى مصر سنة ١٩١٩ عندما كانت ترفع شعار " يحيا الهلال مع الصليب " وتهتف "نموت نموت وتحيا مصر " و "عاشت مصر حرة مستقلة" و" سعد سعد يحيا سعد".

أما مصر في ٢٠١٠ فترفع شعار " الحق فوق القوة.. والأمة فوق الحكومة.. والأهلي فوق الجميع" و تهتف " ارقص يا حضرى " و "عايز تهده هات له جدو" و" عايز تغيظه هات له زيزو".. ! ليتحول شعب من أقدم شعوب الدنيا إلى جمهور.

(١) د / سعيد اسماعيل على : إنهم يخربون التعليم، كتاب الأهالى، ص ١٨٨

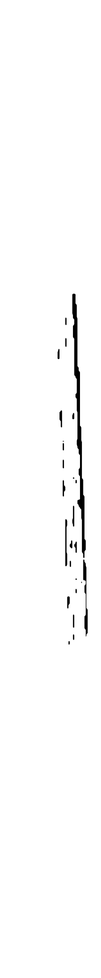




الفصل الأول

إذا كنا قد عجزنا أن نكون أسود الغابة.. فهل حُكِم علينا أن نكون فئرانها ؟

محمود عوض



كل عصر يشبه أبطاله

كل عصر يحتاج أبطاله.. وقد يكون هؤلاء الأبطال من الأنبياء أو الكهنة، من الملوك أو المحاربين، من المستكشفين أو المخترعين، من الفلاسفة أو الشعراء، لكن كل عصر من العصور يحتاج إلى بعض الأفراد غير العاديين الذين يستطيع الناس العاديون جميعا رجالا و نساء أن يتطلعوا إليهم كمثال يحتذى أو حتى كظاهرة جديدة تجذب الاهتمام.(١)

وعندما نتأمل العصر الحالى وننظر إلى مصر نجد أن كل أبطال العصر هم لاعبو كرة القدم ومدربوهم، بدءاً من حسن شحاتة و حسام حسن و محمد أبوتريكة، مروراً بأحمد حسن وعصام الحضرى وعمرو زكى، وصولاً إلى محمد ناجى جدو، لاعب الاتحاد السكندرى الذى تحول فى

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب، مؤسسة الأهرام، ص ٢٦

عشرين يوما فقط إلى بطل قومي، حقق لمصر ما لم يستطع كل المفكرين والأدباء تحقيقه.

هؤلاء اللاعبون يحصدون كل شيء: الشهرة، المال، التكريم، حب الناس، رضا المسئولين، المساندة الإعلامية.. حتى أصبحوا علامة هذا العصر الفارقة، و ملوكه المتوجين؛ الرئيس يتصل بهم ويطمئن عليهم، والوزراء يلهثون خلفهم، والسياسيون يتمنون رضاهم، والفنانون يبحثون عن صورة بجوارهم، حتى الشيوخ تفرغوا للفتاوى الرياضية ولمساندة اللاعبين فى مهامهم القومية.

مصر تركت كل شيء.. العلم، التكنولوجيا، السياسة، الزراعة، الصناعة، الفكر، الأدب، الشعر، الفلسفة، السينما، المسرح.. وتبحث فقط عن هدف الصعود لكأس العالم !

السؤال الذى يحتاج إجابة: لماذا ترك الناس كل شيء ووضعوا كل آمالهم فى كرة القدم؟

والجواب: الناس لا تفهم الأدب ولا تهتم بالشعر ولا تعنيها الفلسفة، ولا تقبل على العلم، ولا تثق فى السياسيين، والفنون ليس فيها فائز وخاسر لتتحمس لها، والدولة لم تسع لأن تقوم بدورها فى توعية الناس وبحث طرق جديدة لتحفيزهم على الاهتمام بالأصول التى تنهض بالأمم.

الناس يعرفون أن السياسة من السهل أن يدخلها أى شخص ويصل فيها لأعلى السلطات بـ"كارت توصية"، والفن يحتاج إلى أن تكون "ابن فلان"، والثقافة ليست فى أولويات الدولة، والعلم نجحت خطط وزراء التعليم نجاحاً مذهلا فى جعل الناس يكرهون كلمة "علم" من الأساس.

على الجانب الآخر الناس تثق فى لاعب كرة القدم لأنه لا مجال للمجاملة؛ فالجمهور هو الحكم، وأى تلاعب سيظهر على الملأ، والموهبة لا تحتاج من يدافع عنها، والنتيجة فى الملعب وليست فى الكواليس، والفرص متاحة للجميع والوساطة لا تستطيع إجبار جمهور على تقبل لاعب مهما بلغ نفوذ من يسانده.. هنا أصبح على الشعب المصرى أن يغادر مقعده ويذهب لمقعد الجمهور.

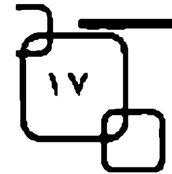
فالشعب مجموعة من الأفراد أو الأقوام يعيشون في إطار واحد من الثقافة والعادات ضمن مجتمع واحد وعلى أرض واحدة، ومن الأمور المميزة لأفراد كل شعب طريقة تعاملهم وشكل العلاقات الاجتماعية التي تتكون في مجتمعات هذا الشعب، وأن تستمد أى حكومة شرعيتها من رضا شعبها وقبوله لها، فإذا انتفى هذا الرضا كانت الحكومة غير شرعية مهما فرضت نفوذها على المحكومين. هذا هو تعريف الشعب كما نصت الدساتير.

أما تعريف الجمهور، فهو حشد من الناس مجتمع لمشاهدة حدث ما بطريقة مباشرة وغالباً ما يكون هذا الحدث رياضيا أو فنيا ومن ثم خطابيا، ويتراوح عدد الجمهور عادة بين بضع عشرات، كما فى برامج التليفزيون، وعشرات الآلاف فى مباريات كرة القدم.

أعتقد أنك عرفت الآن، وتأكدت أننا جمهور.. شعب سابقا !

فكل الظواهر مرتبطة ببعضها، لا تستطيع أن تفصل العصر عن أبطاله، ولا يمكنك أن تبعد الأبطال عن مريديهم، فكل عصر يشبه أبطاله.

والسؤال هنا: متى تحولنا من شعب إلى جمهور ؟



القصة بدأت مع ثورة ١٩١٩، مع الانتفاضة الهائلة التى قام بها الشعب المصرى للخلاص من الاستعمار الأجنبى الذى ظل يخنق أنفاسه لمئات السنين، هذه الثورة التى بدأ فيها الفلاح المصرى يطالب باستقلاله التام لأول مرة، فظهر زعماء سياسيون ومعهم قادة فى الفن والأدب.

فى ذلك الوقت كانت حياة الفلاح المصرى بلغت أسوأ ما يمكن أن تصل إليه حياة إنسان.. والإنجليز قد سفكوا دماءه عندما سخروه فى العمل فى خدمة جيوشهم فى الحرب العالمية الأولى، والذين يموتون أكثر من الذين يولدون فبلغت أعداد الوفيات ٥١٠ آلاف متخطية أعداد المواليد.. بينما أثرت طبقة الأغنياء، وكثر المال فى خزائنها إلى حد لم تكن تحلم به، فارتفع سعر القطن إلى ٩٠ جنيهاً للقنطار وقفزت قيمة الصادرات فى سنتين من ٤٧ مليوناً فى عام ١٩١٧ الى ٨٠ مليوناً جنيه عام ١٩١٩، وكانت جيوش الإنجليز تنفق فى مصر ٨٤ مليوناً من الجنيهات سنوياً.

وثار الفلاح الفقير الذى كانت تعيش معه "أم كلثوم"، كفتاة فقيرة تغنى فى الموالد متنقلة بين الكفور والعزب والنجوع.

وكان محمود مختار قد عاد من فرنسا ليصور الفلاحين الذين عاش معهم فى تماثيل تخلد حياتهم، فرآهم يحطمون السكك الحديدية ويقطعون المواصلات، وينشدون مواويل حزينة عن أيام السلطة والعمل مسخرين فى جيش الاحتلال.

.. وثار الموظف الذى يرزح تحت سلطة رؤسائه الإنجليز، يصدرون القرارات التى يتحكمون بها فى مصير بلاده.. وكان من بين الموظفين

ذلك الأزهرى الذى جاء حديثاً من فرنسا طه حسين.

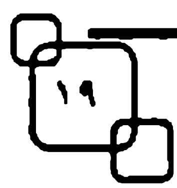
.. وثار الأغنياء أنفسهم تحت ضغط الشعب، ورغبة فى الحصول على امتيازات وثروات أكبر، وكان هؤلاء الأغنياء من الأعيان هم الذين يتحولون بسرعة إلى كبار فى القاهرة وهم رواد المسرح الذى يهتم به أبناؤهم مثل محمد تيمور ويوسف وهبى.

والنظرة الفاحصة تجعلك ترى بوضوح أن التيارات التى تؤثر فى الأدب فى مصر هى نفس التيارات التى تؤثر فى الموسيقى، وأن الاتجاه الذى يسود المسرح هو نفس الاتجاه الذى يسود التصوير أو النحت، ونوع التجديد الذى يبرز فى أى فن من الفنون لابد أن يظهر أيضاً، بصورة ما، فى بقية الفنون الأخرى.(١)

نحن شعب يبحث دائماً عن رمز يسير خلفه، وإن لم يجده على الأرض يخترعه، فبعد ثورة ١٩١٩ كانت لدينا رموز وطنية كبيرة وكثيرة وواضحة كالشمس تعلق الناس بهم وساروا خلفهم أمثال سعد زغلول و محمد فريد ومصطفى النحاس وغيرهم و بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجد الناس ضالتهم فى الزعيم جمال عبدالناصر وعصره الذى استثمر وجود عدد كبير من العباقرة فى كل المجالات فأفسح لهم الطريق ليبدعوا ويُظهروا قدراتهم.

ساهمت ثورة يوليو ١٩٥٢، بلا شك فى تفجير ظاهرة " الجماهير الغفيرة " - على حد تعبير الدكتور جلال أمين - فى مصر على نحو

(١) فتحى غانم : الفن فى حياتنا، أخبار اليوم، ص ١٠



غير مسبوق فى التاريخ المصرى؛ حيث كان قيام هذه الثورة بمثابة إزاحة سد هائل كان يحجز وراءه فيضاناً من المياه، من ناحية ارتفاع مستوى الآمال والطموحات، وما اكتسبته شرائح متزايدة من السكان من تعليم ومهارات جديدة من ناحية أخرى، ثم ضاعفت الثورة من قوة هذا التيار الجديد الكاسح، بمختلف ما صدر عنها من إجراءات وقوانين، من إعادة توزيع للثروة والدخل، إلى التوسع فى التعليم، إلى رفع معدل النمو الاقتصادي والتصنيع.

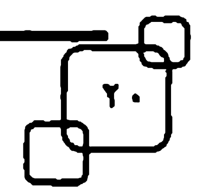
كانت ثورة يوليو هى " البوابة " التى دخل هذا العصر من خلالها إلى مصر؛

ففى السبعة عشر عاماً التالية للثورة (١٩٥٢ – ١٩٧٠) نمت الطبقة الوسطى بمعدل أعلى حتى مما شهدته الفترة السابقة عليها، ولكن كان الأهم من ذلك كان التغيير الذى لحق مصادر هذا النمو.(١)

لذلك كان بديهياً أن يتعاطف معظم المثقفين مع أهداف الثورة السياسية والاجتماعية، ويكفى أن أهم أعمال نجيب محفوظ ويوسف إدريس فى الرواية والقصة القصيرة ظهرت فى هذه الفترة، وكذلك أهم مسرحيات نعمان عاشور والفريد فرج ويوسف إدريس، وظهور مدرسة الشعر الحديث بقيادة صلاح عبدالصبور وعبدالمعطى حجازى وبروز مواهب صلاح جاهين فى الشعر العامى والكاريكاتير، ومدرسة أحمد بهاء الدين فى الصحافة، وكمال الطويل وبليغ حمدى ومحمد الموجى فى الموسيقى، ويوسف شاهين وصلاح أبوسيف فى السينما.. وغيرهم.

---

(١) د / جلال أمين : ماذا حدث للمصريين، دار الشروق، ص ٣١



.. وفى يوم ٣٠ من سبتمبر ١٩٧٠ كُتبت شهادة وفاة تلك المرحلة بوفاة جمال عبدالناصر لأن الناس بدأت تبحث عن رمز جديد تتعلق به، لكن الرئيس أنور السادات كان هو الآخر يبحث عن ذاته !

البحث عن مُلهِم

ترك الرئيس عبد الناصر خلفه تركة ثقيلة على كل من سيأتي بعده، ولكن كان أثقل ما فى هذه التركة كاريزما جمال عبد الناصر التى تعلقت بها الجماهير من المحيط إلى الخليج فكان الرئيس السادات أمام أحد خيارين أحلاهما مُر: الأول هو أن يظل يعيش داخل جلباب عبد الناصر يدافع عن مبادئه وأفكاره، والثانى أن ينقلب عليه ويطرح أفكاراً أخرى.

فى البداية اختار السادات أن يعلن أمام الجماهير أنه يسير على خطى عبد الناصر حتى لا ينصرفوا عنه؛ فقال فى خطابه الشهير أمام الاتحاد الاشتراكى "إن عبدالناصر لم يمت.. كلنا جمال عبد الناصر" واستمر فى طريقه حتى أصبح عند مفترق الطرق عندما استقال عدد كبير من الوزراء وكبار السياسيين من مناصبهم فى ١٥ من مايو ١٩٧١ لإحراجه وإثبات عدم قدرته على القيادة.

هنا بدأت شخصية السادات الحقيقية تظهر فَقَبِلَ استقالتهم، وأمر قائد قوات الحرس الجمهورى "الليثى ناصف" بالقبض عليهم ووضعهم فى السجن، وأعلن أمام الناس أنها "ثورة تصحيح"، ولكن الناس كانوا يشعرون بمرارة فقدان عبد الناصر الذى هتفوا فى جنازته "هتسيبنا لمين يا ريس" بل إن المظاهرات الطلابية زادت حدتها وانتشرت "النكتة السياسية" بشكل غير مسبوق (على الرئيس) إلى أن جاءت اللحظة التى توحدت فيها معه الجماهير فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣.

فى هذا التوقيت بدأت الجماهير تحب السادات وتشعر بقيمته كبطل للحرب،وبدأ هو الآخر يشعر بمكانته ويسعى لتعزيزها بطريقته الخاصة، فلم تعد هناك ضرورة لأن يظل معلناً تمسكه بمبادئ جمال عبد الناصر الذى كتب عنه كتاباً بعنوان" يا ولدى هذا عمك جمال" بل قرر أن يتعامل مع الناس بأفكاره ورؤيته التى كان من الصعب أن تظهر قبل تحقيق نصر كبير ومهم وتاريخى أذهل العالم قبل أن يُذهل المصريين حتى يستجيب الناس معه ويعرفوا أنه شخصية أخرى تختلف عن عبد الناصر، وأنه أيضا له كاريزما خاصة تستحق الحب والتقدير.

لكن على الرغم من أن نصر أكتوبر رفع رأس مصر أكثر من أشياء كثيرة أنجزها عبد الناصر فإن الجماهير لم تضع السادات فى المكانة التى كان ينتظرها، ربما لأنه كان شخصية فريدة من نوعها فهو رجل يحمل كل المتناقضات فى شخصيته وبالتالى لا تستطيع أن تطمئن إليه بنسبة مائة فى المائة لأنه يمكن أن يغير كل شىء فى لحظة؛ فهو يتمتع بروح المغامرة ويهتم بصورته ويسعى لأن تكون الأضواء دائما مسلطة عليه بشكل يراه عدد كبير من الناس مبالغا فيه، خاصة أن دهاة السياسة الأمريكية – وتحديدا

"هنرى كسينجر" وزير خارجية أمريكا الأسبق - كانوا يعلمون تماماً مدى اهتمام السادات بالصورة الاجتماعية، التي كانت تظهر في ملابسه التى يرتديها فى المناسبات المختلفة (مرة الجلباب،وأخرى البدلة، ومرة ثالثة الملابس العسكرية ، وأحيانا يجلس فى قريته "ميت أبو الكوم" فى محافظة المنوفية و يستخدم "البايب" أو "الغليون" المرتبط عند المصريين بالثراء) بل إنه كان الرئيس الوحيد الذى جاء بمصور ليلتقط له صورة وهو يحلق لحيته، ويفطر ويستحم، لدرجة أن الأمريكان أشاعوا أن السادات لو قام بترشيح نفسه فى أمريكا لفاز بكرسى الرئاسة. والحقيقة أن أفضل وسيلة لإنهاء إنسان هى أن تمتدحه حتى ينتفخ، ومادام قد وصل الى الأنتفاخ فإن دبوس صغير يجعله ينفجر - على حد قول الدكتور أحمد عكاشة - والأمريكان لعبوا هذه اللعبة، مرة يختارونه من أشيك ثلاثة فى العالم ومرة ينتخبونه أحسن زعيم سياسى.. لذلك تعمقت الفجوة بينه وبين الجماهير التى بدأت تنصرف عنه، خاصة بعد زيارته لإسرائيل عام ١٩٧٧؛ وقتها شعر الناس أنه "باع" القضية الفلسطينية، ثم زاد هذا الشعور بعد معاهدة كامب ديفيد (التى يعارضها أغلب المصريين)، فى هذا التوقيت ومع سياسة الانفتاح التى أقرها الرئيس الراحل فى كل شيء بدأت تتسلل إلى الشعب المصرى مبادئ جديدة لم يكن يعرفها؛ فالمصرى الذى كان مشهوداً له فى الستينيات بالإخلاص فى العمل سيطرت عليه ثقافة الاستهلاك التى جلبت معها منطق "الفهلوة" وانتشرت مقولات أصبحت مأثورة مثل " الجنيه غلب الكارنيه" أى أن صاحب المال أهم من صاحب السلطة، وانتشرت أيضاً الشخصية التى يسميها علماء النفس الاستهوائية، وتتميز تلك الشخصية بالتفخيم فى الذات والأداء المسرحى والتعبير المبالغ فيه عن المشاعر وعدم وضع الآخرين موضع اعتبار.

هنا نضع أيدينا على الحلقة الأهم فى تحول الشعب المصرى إلى جمهور لأن تلك الصفات انتشرت نتيجة عدم وجود قدوة ومثل أعلى، فالرئيس السادات كان مهتما بذاته ونشر هذه الثقافة بين الناس، بل إنه كان رجل المتناقضات دون منازع، تلك الصفة انتشرت بين المصريين كالنار فى الهشيم فالرجل الذى كان صاحب قرار العبور العظيم هو نفسه الذى ذهب لإسرائيل؛ لذلك على الرغم من كل ماكتب فإنه مازال شخصية مثيرة ومحيرة، فالبعض أحبه ووصفه بالرئيس المؤمن، والبعض الآخر كرهه واتهمه بالخيانة ربما لأن أفعاله وقراراته المفاجئة تسببت فى صدمات للجميع، مؤيديه ومعارضيه، فتشتت الجماهير لأنها تبحث دائما عن زعيم ملهم.

لم يكن فى هذه الظروف أمام الشعب المصرى سوى التصفيق لكل ما يحدث أمامه على المسرح السياسى فأصبحنا نصفق لكل شىء وفى كل المناسبات (دون اقتناع) نصفق للرئيس.. للوزير..فى مجلس الشعب.. فى المدارس.. فى الجامعات.. فى ملاعب كرة القدم.. فى السينمات.. فى المسارح.. فى الندوات.. فى الشوارع.. على المقاهى. لذلك أعتقد أنه لو أن هناك درجة أستاذية تمنح للشعوب الأكثر تصفيقاً أظن أننا سنحتكرها وحدنا لقرون قادمة؛ فنحن نعشق التصفيق لدرجة جعلت عندنا رواداً فى هذا الفن الراسخ في وجدان المصريين منذ أيام الفراعنة الذين ابتدعوا "تقديس" الحاكم إلى أن وصلنا إلى عصر "المصفقاتية والهتيفة " هؤلاء الذين اخترعهم الشعب العربى عامة والشعب المصرى على وجه الخصوص واستطاعوا بمهارة يحسدون عليها تحويل الشعب المصرى إلى جمهور.

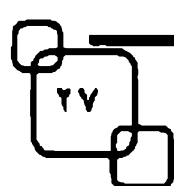
التصفيق فى الوقت الراهن أصبح مهنة، فهؤلاء الذين يتقنون التصفيق ربما لا يتقنون شيئا آخر بعد أن تحول التصفيق، والتشجيع، والتهليل إلى مهن يقتات منها بعض المصريين والمصريات الذين يملأون ساحات البرامج الحوارية أو فضاء الملاعب الرياضية - خاصة ملاعب كرة القدم - أو يحتلون كراسى القاعات المكيفة التى يلقى فيها الساسة خطبهم، لذلك ربطت الشعوب العربية بين التصفيق والنفاق السياسى.. وبدأ الوعى بوظيفة "المصفقاتية والهتيفة" من جانب من يملكون مقاليد السلطة للسيطرة على ردود الأفعال من خلال عدة أشياء هى:

أولاً: اختيار الجمهور الذى يحضر خطب الرئيس بعناية شديدة من المؤيدين، وإقصاء كل المستمعين المستقلين أو المعارضين غير المتحمسين.

ثانياً: توزيع عدد من المصفقين والهتيفة فى أرجاء المكان، وهؤلاء سوف يقومون بدور الشرارة للتصفيق والهتاف، مع إمدادهم بمخطط لأوقات التصفيق والهتاف بحيث يسير الحدث التواصلى وفق خطة محددة سلفاً هدفها إظهار أقصى درجة من التأييد والاستحسان لكل ما يقوله الملك أو الرئيس أو أية سلطة سياسية أخرى.

ثالثاً: تقريب الأفراد الذين يقومون بدور الهتيفة والمصفقاتية من وسائل تكبير الصوت، وتسليط الأضواء عليهم،واختيار أماكن بارزة لهم، وفى حال نقل الخطبة بواسطة وسائل الإعلام يتم التركيز بشكل دائم عليهم والهدف النهائى لكل ذلك هو تضخيم استجاباتهم وإبرازها.

رابعاً: إجبار الأفراد الذين لا يُظهرون الحماسة الكافية للتصفيق على تعديل "أدائهم" من خلال نشر مراقبين من رجال الأمن فى أركان المكان



الذى يتم فيه إلقاء الخطبة،هؤلاء المراقبون يقومون بالتطلع الدائم فى وجوه وأيدى الحاضرين ليس لضمان أمن الرئيس بل لضمان أن يقوم الجمهور بالتصفيق كما يليق بهتّيف أو مصفقاتى.

خامساً: صياغة الخطبة على نحو يُحفز على التصفيق من خلال حشوها بفخاخ التصفيق البلاغية والمعنوية.(١)

التصفيق "اختراع" مصرى أصيل فإذا كانت كتب التاريخ تذكر أن نيرون طاغية روما الشهير أسس مدرسة خاصة لتعليم أصول التصفيق، وأنه كان يأمر خمسة آلاف فارس وجندى من أفراد الجيش بحضور الحفلات الموسيقية التى يغنى فيها وهو يعزف ليصفقوا له بعد أن ينتهى من العزف والغناء !... فإننا فى مصر أنشأنا جامعات للتصفيق والهتاف، والدليل على ذلك ملاعب كرة القدم التى يوجد بها بدلاً من "الهتيف" ألف هتّيف، وبدلاً من المصفق مائة ألف مصفق، فهناك أشخاص فى كل فريق مهمتهم تقتصر على الذهاب خلف الفريق فى كل المباريات للتصفيق والهتاف؛ فنادى الزمالك لديه أشهر "هتيف" فى مصر وهو "الخواجة" الرجل الذى أصبح نجم مجتمع بفضل التصفيق لدرجة جعلت المخرجين يستعينون به فى الأفلام، والمسلسلات، والبرامج، وحتى الإعلانات أصبح ضيفاً عليها.

الخواجة ليس وحده فهناك عشرات بل مئات "الهتيفة والمصفقاتية " الذين تستعين بهم الأندية الكبرى، فالأهلى يستعين بـ "الشيخ حسن"

(١) عماد عبد اللطيف : لماذا يصفق المصريون، دار العين للنشر

الرجل الذى يرتدى "الجبة والقفطان" ويسير خلف النادى فى كل المباريات بعد أن كان هذا الرجل مطرباً فى الموالد وذهب بالصدفة لحضور إحدى المباريات مع أصدقائه فوجد أن هيئته وسط الجماهير جذبت له شعبية كبيرة فقرر أن يترك الغناء ويتفرغ للتشجيع لأنه – على حد قوله – "بيكسب أكتر" بل إنه تجاوز حدود المحلية وأصبح يشجع أى ناد أو منتخب عربى بمقابل مادى، وفى الوقت نفسه الناس تعتبره "بركة" وتحييه كلما رأته !

أما أندية الشركات مثل إنبى وبتروجت والمقاولون فهى تستعين بالعاملين فى شركاتها وتمنحهم "وجبة غداء" ومبلغاً من المال يصل إلى ٥٠ جنيهاً حسب أهمية المباراة، وإذا كانت المباراة أثناء مواعيد العمل الرسمية يتم جعل الحضور والانصراف داخل الأتوبيس الذى ينقلهم أو داخل الاستاد.

ما يحدث داخل ملاعب كرة القدم يتكرر فى الملعب السياسى، ففى انتخابات مجلسى الشعب والشورى يقوم المرشحون بجمع أكبر عدد من الهتيفة من مناطق بعينها ليقوموا بالتصفيق والهتاف لهم أثناء الحملة، ولا مانع إن احتاج المرشح لاستخدامهم لإرهارب منافسيه "فكله بثمنه"، لذلك أصبح التصفيق فى سياقات التواصل السياسى الجماهيرى يدرك بوصفه جزءا من مسرحية سياسية تؤدى على خشبة باتساع الوطن كله – على حد تعبير الدكتور عماد عبد اللطيف –. البعض يراها مسرحية كوميدية تستمد طابعها الفكاهى من المفارقة التى توجد بين حرص السلطة الحاكمة على أدائها ووعى الجمهور بزيفها، والبعض الآخر يراها مسرحية تراجيدية تصور واقع الأوطان التى تعيش مأساة الأنظمة

الديكتاتورية والشعوب العاجزة.

الغريب أن هؤلاء الهتيفة بمرور الوقت أصبح دورهم مستمراً مع النائب الذى يحتاجهم خلال الدورة البرلمانية للهتاف والتصفيق له – إذا بقى فى دائرته الانتخابية – بل إن النائب نفسه بعد فترة يتغير دوره من المراقبة والمحاسبة للحكومة إلى التصفيق والهتاف لإنجازاتها، فما بالك إن كان الرئيس نفسه هو المتحدث فى البرلمان فهؤلاء النواب لا يقدرون على فعل شىء سوى التصفيق والهتاف للرئيس فى كل المناسبات حتى وهو يمدح نفسه، بل إنهم ظلوا يصفقون للرئيس مبارك لمدة ٢٥ ثانية عندما قال " ستتغلب إلى ما نواجه من تحديات على أرض مصر.. بعد أن اجتزنا أوقاتاً صعبة وتغلبنا على مشكلات وتحديات عديدة، سأواصل معكم مسيرة العبور إلى المستقبل متحملا المسئولية وأمانتها مادام فى الصدر قلب ينبض".

"التصفيق" و"الهتاف".. عمل لا يحتاج إلى مجهود ولا إلى مؤهلات سوى "يدين و صوت عالٍ" وعقل مُغيب.. لكن كل ذلك أصبح ضرورة فى مصر التى أضحت تلعب منذ غاب عنها الشعب وسيطر عليها الجمهور، فالسياسة والرياضة استمرتا وجود هؤلاء الهتيفة والمصفقاتية فى لفت الأنظار إليها.. صحيح أن الناس يهتفون للاعبى كرة القدم من قلوبهم وهم سعداء، بينما يهتفون للسياسى بما يضعه فى "جيوبهم" وهم مُكرهون، لكن "الهتيف" لا يعرف الفرق بين السياسى واللاعب فكلاهما يدفع وكلاهما يلعب!

كأس مصر ومدارسها

هنا أصبح التعليم "مش جايب همه".. و دخلت مصر عصر " لا مذاكرة بعد اليوم.. لعب الكرة أهم" هذا الهتاف الشهير الذى توارثه تلاميذ المدارس جيلاً بعد جيل، فالناس أصبحوا يتعاملون مع التعليم باعتباره " شر لابد منه.. ولا لزوم له" فى حين أصبحت كرة القدم هى طموح الطلاب وأولياء الأمور، وبعد أن كان قمة طموح الأب أن يرى ابنه طبيباً أو مهندساً أوضابطاً أصبح يتمنى أن يكون لاعباً، وبدلا من أن يذهب معه للكلية يذهب معه "للتدريب" وتحول التعليم إلى مجرد "شهادة" تعلق على الحوائط داخل البيوت ولا فائدة لها إلا عند التفكير فى "الخطوبة" والزواج وأحيانا يتم التغاضي عنها مادام العريس ثرياً، خاصة أن النجاح فى الدراسة لم يعد معيارا للتفوق؛ لأن الامتحانات يتم تسريبها، وتباع على الأرصفة أمام المدارس وبأسعار لا تقبل المنافسة تبدأ من ٢٠٠ جنيه وتصل إلى ٨٠٠ جنيه فى المادة الواحدة والدليل على

ذلك ما حدث فى لجنة مدرسة "الثورة" أثناء امتحانات الثانوية العامة عام ٢٠٠٨ فى محافظة المنيا.

هذا بجانب أن "الغش للجميع " لدرجة أن الأهالى أصبحوا يقفون أمام لجان الامتحانات حاملين ميكروفونات ليذيعوا إجابة الأسئلة لأبنائهم ويقوم الطالب بكتابة ما يمليه عليه ولى أمره، بل إن إحدى الدراسات التى قام بها المركز القومى للبحوث أثبتت أن طرق الغش التقليدية انتهت والغش الجماعى أصبح ظاهرة، وأن هناك العديد من الطرق أولها الإجابة داخل اللجان بنسبة ٦،٣٪، أما إذاعة الإجابة عن طريق الميكروفون فاحتلت المرتبة الثانية بنسبة ٥،٣٪ من حالات الغش الجماعى، وجاءت فى المرتبة الثالثة الطريقة التقليدية وهى تصوير الإجابة وتوزيعها على الطلبة داخل اللجان، لذلك لم يكن غريبا أن يقول الساخر أحمد رجب: "شكراً لوزير التربية والتعليم لرفع المعاناة عن الناس فلن تصبح الامتحانات عقوبة مالية باهظة بالدروس الخصوصية بعد السماح لإدارات الوزارة بتسريب الامتحانات لأولادنا أحباب الله، والتغاضى عن الغش الذى أصبح قاعدة لا استثناء و تعددت وسائله وآخرها سيارات لعب أطفال بالبطارية تجرى بلا صوت على أرض اللجنة من طالب إلى آخر بينما المراقبون لا يتدخلون لأن ضبط هذه السيارات من اختصاص رجال المرور".

وبذلك فقد التعليم قيمته وكأننا كنا تلاميذ جيدين للاستعمار البريطانى الذى لم يكن له هدف عندما سقطت مصر فى قبضته عام ١٨٨٢، سوى زرع الكراهية داخل الشعب المصرى تجاه التعليم فجعل الامتحانات وسيلة خبيثة استطاعت بها السلطة أن تضيق من فرص التعليم أمام الناس

بما أحاطتها به من رهبة وما اتبعته فيها من تشديد وتصعيب وقسوة، وليس معنى ذلك أن الامتحانات كانت حدثاً جديداً لم تعرفه مصر من قبل، إلا أنها لم تكن أداة للتخويف والإرهاب، وإنما وسيلة تزيد من إقبال التلاميذ على التعليم بما كانت تبعثه من شوق وما كان يتخذ من ترغيب، ويكفى دلالة على ذلك أن الجزء الخاص بالامتحانات فى اللائحة التى وضعها على مبارك فى ٢٩ من إبريل ١٨٦٨، قد ذكر فيها ضرورة أن يجرى الامتحان فى الكتاتيب بمعرفة من كانوا يقومون بالتعليم وبمعرفة من يلزم من الفقهاء، وأن يحضر أهل القرية يوم الامتحان ليحتفل التلاميذ مع أهلهم بهذا اليوم.. لكن بعد أن جاء الاحتلال البريطانى فإن أول ما قرر تخريبه هو التعليم فلأول مرة لا يقوم المعلمون بالامتحان وإنما يوكل إلى "لجنة ممتحنين" خاصة وتكتب الأسئلة بواسطة اللجنة وترسل إجابات التلاميذ مغلقة فى مظاريف "مبرشمة" إلى المستشار الإنجليزى نفسه لتأخذ أرقاما سرية ثم يستطيع المعلمون بعدها أن يصححوها.

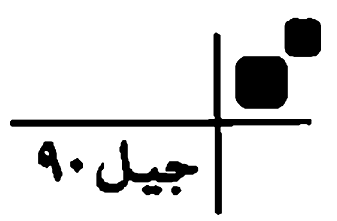
وبدأت تشيع روح الخوف بين الطلاب وتصبح الامتحانات "شر لابد منه" وتخرجت أجيال لا تستطيع أن تعلن عن رأيها بصراحة ولا تعرف سوى "الحفظ والتسميع".. لكن الاحتلال فى هذا التوقيت سمح بممارسة كرة القدم فى المدارس، وعرفت مصر أول كأس فى تاريخ كرة القدم عام ١٩١٣ عندما قدمت جريدة" الأمبر زيالى" كأساً بإسمها لمسابقة تتنافس فيها فرق الجاليات الأجنبية،وفرض الاتحاد المختلط سيطرته على نشاط اللعبة مما جعل بعض الأندية المصرية تتمرد عليه وترفض الانضمام إلى مسابقته، وكان النادى الأهلى يتزعم هذه المقاطعة للكأس.

لكن المؤكد أن الاحتلال البريطاني لم يصل تفكيره إلى أن نصل إلى ما يحدث الآن، والدليل على ذلك ما حدث مع آلاء فرج مجاهد- الطالبة بمدرسة شربين الثانوية بنات - التي انتقدت الرئيس في موضوع تعبير عام ٢٠٠٦ في اختبار الصف الأول الثانوى، فصدر قرار من وزير التربية والتعليم باعتبارها راسبة في مادة اللغة العربية وعليها أن تؤدى امتحان الدور الثاني إن كانت راغبة في استكمال تعليمها.. فتدخل رئيس الجمهورية وأمر بمراجعة ورقة آلاء، وأعيد تصحيح الورقة مرة أخرى فجاءت درجتها ٥٤,٤ من ٦٠.

ما حدث مع التلميذة "آلاء" يؤكد أننا تجاوزنا أحلام المستعمر البريطاني وأصبح التعليم في مصر يسير بخطى ثابتة نحو الهاوية، وأن الهدف من التعليم هو تخريج جمهور تحكمه عقلية القطيع وليس شعباً يعرف حقوقه ويسعى لتنفيذ ما عليه، فنحن ليس لدينا وزير تعليم يستطيع أن يتخذ قراراً يتعلق بتلميذة في أولى ثانوى فما بالنا بقرارات تتعلق بمصير أكثر من ١٥ مليون طالب ومليون مدرس ينتظرون قرارته لحل مشاكلهم، وليس لدينا مدارس حكومية تشجع الطلبة على الذهاب إليها فهى إما آيلة للسقوط وإما يحيط بها البلطجية،وفصولها لا يوجد فيها مكان لقدم ومقاعد هذه الفصول أسهمت في ثراء أصحاب محلات الملابس من كثرة المسامير البارزة التي نسيها النجار، ويدفع ثمنها الآباء بشراء بنطلونات جديدة !.. هذا إلى جانب "دورات المياه" الموجودة فيها لا تصلح معها سوى القنبلة الذرية لإبادتها (بسبب الروائح الكريهة المنبعثة منها) والعيادات الطبية التي تستخدم أدوات سبق استخدامها في تضميد جرحى الحرب العالمية الأولى !

بهذه الطريقة أصبح التعليم السبب الأول فى تحويل الشعب المصرى إلى جمهور و زيادة شعبية كرة القدم فى مصر؛ لأن أغلب الطلاب عندما يهربون من المدارس لا يجدون أمامهم إلا لعب الكرة فى الشارع حتى ينتهى اليوم الدراسى ثم يعودوا إلى منازلهم ، خاصة عندما يعرف هؤلاء التلاميذ أن لاعب كرة القدم يحصل على مائة ألف جنيه فى الشهر فى حين يحصل أستاذه على راتب قدره ٢٨٠ جنيها ويصل فى أفضل الأحوال إلى ٦٠٠ جنيه بعد علاوة الكادر الخاص (والعام) مما يعنى أن اللاعب يساوى ٢٥٠ مدرساً ممن يحصلون على راتب ٤٠٠ جنيه شهرياً.

هذه البيانات لا تحتاج إلى معجزة لمعرفتها فراتب لاعب الكرة الواحد يساوى "بالميت" راتب مائتى مدرس من العمالقة الذين ضاعت أعمارهم داخل الفصول لمدة لا تقل عن ٢٠ سنة، فى حين أن عمر اللاعب كله قد لا يصل إلى ٢٠ سنة، وربما لا يستطيع هذا اللاعب كتابة إسمه مثل عدد كبير من لاعبى منتخب مصر الذين نهتف بأسمائهم ليل نهار ونتحدث عنهم باعتبارهم أبطال قوميين، لذلك من الطبيعى عندما تسأل أى تلميذ: "نفسك تطلع إيه لما تكبر؟" يقول لك"لاعب كرة" و لو فكرت تقول له "ياريت نشوفك زى أحمد زويل" يقولك "زويل مين ياعم.. أنا نفسى أبقى زى شيكابالا".

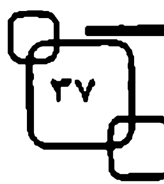


جيل ٩٠

أنا من جيل يعرف كل اللاعبين الذين انضموا لمنتخب مصر لاعباً لاعباً، ويحفظ عن ظهر قلب أرقام فانلاتهم وأهدافهم المؤثرة ومبارياتهم المهمة وإنجازاتهم مع الأندية و المنتخب، فمنذ أول مباراة كرة قدم شاهدتها بين مصر وهولندا فى كأس العالم ١٩٩٠ وحتى الآن، ذهبت لمشاهدة المباريات فى الاستاد عشرات المرات، وجلست فى مدرجات الدرجة الثالثة أكثر مما جلست فى مدرجات الجامعة، وكنت -ومازلت- واحداً من الذين ينزلون إلى الشوارع بعد كل مباراة مهمة للمنتخب ليس لرصد الاحتفالات ولكن للاحتفال بالفوز.

والسؤال لماذا ينزل الناس إلى الشوارع بعد فوز المنتخب فى مباراة مهمة أو بعد حصوله على بطولة ولا يحتفلون فى منازلهم ؟

أولاً: من يقول إن احتفال الناس فى الشوارع بعد فوز المنتخب بالمباريات المهمة تفاهة فهو لا يعرف شيئا عن مشجع كرة القدم



الذى يعانى من كل شىء فى حياته؛ فأتوبيس النقل العام يصيب الفرد بالاكتئاب، والمحاضرات التى لا نفهم فيها شيئاً تصيب أيضاً بالاكتئاب، والامتحانات الصعبة هى قمة الاكتئاب، والجلوس على المقاهى ليل نهار بعد ١٥سنة خدمة فى التعليم تصنع الاكتئاب، والزحمة تؤدى إلى الاكتئاب، وتأخر الزواج يصنع الاكتئاب.. وبالتالى أصبح كل شىء يدعو للاكتئاب إلا كرة القدم، الملاذ الأخير للمصريين.

ثانياً: ليس معنى رفضى لاتهام من ينزلون إلى الشارع بعد فوز المنتخب بالتفاهة أننى أتبنى رؤية السادة مذيعى البرامج الرياضية أن الذى دفعهم إلى النزول هى الوطنية والحب الكبير لعلم مصر.. هذا الكلام حق يراد به باطل؛ فالناس التى ترقص فى الشوارع بعد المباريات يحبون مصر كأى شخص لم ينزل إلى الشارع أو حتى لم يشاهد مباريات المنتخب، فالمسألة ببساطة أن الذى يحتفل فى الشارع هو مشجع لكرة القدم لا يستطيع التعبير عن مشاعره إلا فى مباريات المنتخب لأن الفرحة عامة.

ثالثاً: الجمهور المصرى يعانى من كل الأمراض، ويمشى الناس فى الشوارع منهكين يتساند بعضهم إلى بعض ويحملون أكواماً من الروشتات وأوراق التحاليل والأشعات داخل أكياس بلاستيك أكل عليها الدهر وشرب، وهذا ما تؤكده كل الإحصائيات فهناك:

- ١٠٪ من السكان بعد العشرين يعانون السكر.
- ٣٠٪ من السكان بعد العشرين يعانون ارتفاع الضغط.
- ٣٨ ٪ من السكان بعد العشرين يعانون السمنة.
- ١٥ مليون مصرى مصابون بارتفاع ضغط الدم.
- ٥٤ ٪ من نسبة الوفيات سببها أمراض القلب والضغوط النفسية..

وكل ٦ دقائق تحدث حالة طلاق.. و٤٢ ٪ من حالات الطلاق سببها العوامل المادية والاقتصادية.

رابعاً: لاعب كرة القدم تحول إلى رمز يسير الناس خلفه إما بسبب حبهم لكرة القدم باعتبارها اللعبة الشعبية الأولى (وليس بسبب إنجازاتها لأن كرة اليد تجاوزت فى إنجازاتها كرة القدم بمراحل ولكن لم يلتفت إليها سوى عدد محدود من الناس).. أو لأنهم يعتبرون أنها قد تنجيهم من الفقر إذا صار أحد أبنائهم لاعباً، فبحسبة بسيطة نجد أن ناشئاً فى النادى الأهلى لم يصل عمره إلى ٢٠ سنة يحصل على راتب شهرى يتجاوز ما يحصل عليه ١٠٠ طبيب فى السنة بعد سبع سنوات دراسة فى الطب و ثلاث سنوات فى القوات المسلحة و خمس سنوات من العمل المتواصل داخل المستشفى.

خامساً: البعض يرى أنه من الممكن أن يحتفل الناس فى منازلهم ولا ينزلون إلى الشوارع، وهذا كلام منطقى جداً، لكنه كلام نظرى لا يستطيع تطبيقه إلا صاحب النظرية، أما المشجع فلا يجد متعة فى مشاهدة المباراة والاحتفال بها إلا فى الشارع خاصة أنه يعتبر الفوز فى المباريات المهمة كالأعياد، بل إن ظاهرة وجود البنات فى مباريات الكرة واحتفالات الشوارع أصبحت لافتة للنظر لكنها منطقية فى ظل مجتمع توجد فيه تسعة ملايين فتاة "عانس".

سادساً: الاحتفال فى الشارع لا يكلف الفقراء شيئا، بل إن هذا الحدث - سواء مادياً أو معنوياً - هو التجمع الوحيد الذى يتم برضا أجهزة الأمن.

هذه هى مصر فى عصر الجماهير، بعد أن كانت فى عصور قوتها ترتبط بالريادة والابتكار والإبداع، وحققت هذا فى الدين والعلم والفن، وهو ما شهد به جوستاف لوبون - المؤرخ الفرنسى - فى كتابه عن تطور الأمم والتحولات فى فنونها، أما مصر فى عصور الضعف فلا يرى أهلها غضاضة فى تقليد الغير.. ففى القرن التاسع عشر كان البيت المصرى يطلق على الشىء الذى يحلو فى عينه (عصمللى) نسبة إلى الأتراك والعثمانيين، وفى القرن العشرين الحلو (ألافرنكة) ثم المستورد.. أما الوحش، فهو (بلدى) ![1]

كل المؤشرات تؤكد أن "الشعب" المصرى خرج ولم يعد، وأن "الجمهور" سيطر على مجريات الأمور، وأن اللعب أصبح أهم من شهادة الطب، فبعد أن كنا نردد "الدنيا ربيع والجو بديع " جاء إلينا "خريف الغضب"وبعده أصبحت كل أيامنا "شتاء" فالأجواء ملبدة بالغيوم، والكل يطرح سؤالاً واحداً "إحنا رايحين على فين؟" والوحيد الذى استطاع الإجابة عن هذا السؤال هو عبد الحليم حافظ عندما قال"على حسب الريح ما يودى الريح ما يودى "!.

فنحن فى الوقت الراهن جمهور.. بعد أن كنا فى الماضى شعباً،

والدليل قصيدة عمنا بيرم التونسى الذى قال:

م المستحيل أنت تخدع أى طفل صغير
وتلف عقله وتعطيه القليل بكتير

(١) نعمات أحمد فؤاد : شخصية مصر، الهيئة العامة للكتاب، ص ٢٨٩

لكن بأهون طريقة تخدع الجماهير
لو كنت أغبى غبى تجرى وراك وتسير

••

شوف النوادى وشوف نادى السبق بالذات
فيه الجماهير طوايف من رعاع وذوات
يحطوا ميت ألف أهيف فى نظير ريالات
حسبه ما تدخل دماغ من غير مؤاخذة حمير

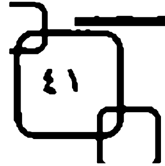
••

ويقولوا شركة مساهمة.. تصنع الكوانين
فيها فلان باشا وفلان بيه مشتركين
ومين يفتش على الباشا وع البيه مين
كل المساهمين ولايا أو رجال طراطير
النصابين بيقولوا لك منطق الجمهور
يسمع ويحفض ويتبع أيها المشهور

••

خليل يصقف، يصقف شعب ويا خليل
من غير ما يسأل عن الأسباب والتفاصيل
وحمار يغنى وجايب من يقول له: آه !
حالاً تقول الخلايق كلها وياه

••

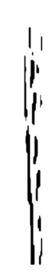


الحق يخفى وفى وسط الزحام يتداس
وناس فى فهم الحقيقة تتكل على ناس
ويساعدك الحظ ياللى تحسن التجعير

الفصل الثانى

سأقول فى التحقيق:
إن اللص اصبح يرتدى ثوب المقاتل
وأقول فى التحقيق:
إن القائد الموهوب أصبح كالمقاول

نزار قبانى



أفيون الشعوب

لعبة كرة القدم "قلبت بجد" حين انتقلت من ملعب الرياضة إلى ملعب السياسة لتصبح بفضل السياسيين "أفيون الشعوب"!

كرة القدم والأفيون وجهان لعملة واحدة؛ كلاهما يخدر الناس و يتحكم في انفعالاتهم، ويجعلك أسيراً له، ويشعرك بسعادة وهمية، ويجعلك أكثر قدرة على مواجهة أعباء الحياة، ويلعب دور المسكن لآلام الشعوب حتى لا تثور..

الكرة والأفيون يمكن أن يكونا نافعين وفي الوقت نفسه يمكن أن يحملا للبشرية ضرراً لم تعرفه من قبل، ولا تستطيع التخلص منه بسهولة.. باختصار كلاهما ورم لكن الفرق بينهما أن كرة القدم ورم حميد يمكن الشفاء منه أما الأفيون فورم خبيث لا يمكن التخلص منه.

كرة القدم أصبحت "أفيونا" لأغلب شعوب الدنيا سواء كانوا في

العالم الأول أم الثانى أم الثالث، لكن خطورة الكرة وأعراضها كمرض أنها تصيب الشعوب فتتحول إلى جماهير وهو مرض لا يصيب إلا شعوب الدرجة الثالثة – بلغة كرة القدم– لأن تلك الشعوب تجد فى تلك اللعبة مخرجاً ينسيها همومها، ثم يتطور الأمر حتى تصبح الكرة كل شيء فى حياة الناس.

يتحدثون عنها فى مكاتبهم وفى المقاهى وفى المواصلات المزدحمة وفى إشارات المرور المغلقة وفى الشوارع و داخل البيوت وفى النوادى وقبل دخول السينمات وأمام المسارح ويشاهدونها ليل نهار فى التليفزيونات مرة لمتابعة المباريات، وأخرى لتحليلها، وثالثة لمشاهدة إعادة الأهداف ورابعة لمعرفة آخر الأخبار.. وهكذا حتى أصبحت كرة القدم محور الحياة عند شعوب العالم الثالث.

هنا كان بديهياً أن يصبح العنف والشغب فى ملاعب كرة القدم ظاهرة اجتماعية يجب الوقوف أمامها وتحليلها وتحديد أسبابها ونتائجها من خلال علم الاجتماع الرياضى – الذى يقوم بتحليل الظواهر الرياضية ذات الأبعاد الاجتماعية ويدرس أسبابها ونتائجها– خاصة بعد أن أصبحت "الشماريخ" و"النيران" و"تكسير المقاعد" و"حرق الأعلام" و"وضرب المنافسين" و"تهديد الحكام" هى الوسائل الطبيعية لتعبير اللاعبين والجماهير عن فرحتهم.

الدكتورة إحسان محمد الحسن فى دراسة فريدة من نوعها كشفت الأسباب الاجتماعية المسئولة عن انتشار العنف والشغب الرياضى وهى:

كثرة المشجعين لفريق دون الفريق الآخر.. ٩٧ ٪

الاحتكاك المباشر بين اللاعبين.. ٨٩ ٪
تحريض الجمهور للاعبين على العدوان.. ٨٢ ٪
الفوارق في المستويات الاجتماعية والفئوية بين الفرق.. ٨٠ ٪
تأثير وسائل الإعلام الجماهيرية على اللاعبين.. ٧٦ ٪
الفوارق في المستويات الاقتصادية بين الفرق.. ٧٤ ٪
تأثير إدارات الفرق على اللاعبين.. ٦٩ ٪
تقليد الفرق الأجنبية في إثارة الشغب.. ٥٩ ٪
الفوارق في المستويات الثقافية بين الفرق.. ٥٨ ٪
عدم وجود وسائل الردع ضد أعمال العنف والشغب في الرياضة.. ٥٥ ٪
التناقض بين واقع الفريق وطموحه.. ٣٥ ٪
تعرض الفريق لسلسلة من الاحباطات.. ٣٠ ٪
محدودية خبرة الفريق في التعامل مع الفرق الأخرى.. ٢٨ ٪

إذا كانت الأسباب التي ذكرتها هذه الدراسة يمكن أن تنطبق على حال كثير من الدول والفرق في العالم، فإني أعتقد انها تنطبق على مصر أكثر من انطباقها على أي بلد آخر، لأن الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عندنا في قمتها سواء بين الجماهير أم بين اللاعبين الذين نجد أن بعضهم من الأثرياء، وبعضهم يذهبون إلى أنديتهم سيراً على الأقدام، وبعضهم من خريجي كليات الطب، والبعض الآخر لا يستطيع كتابة اسمه؛ لذلك نجد أن خسارة أحد الفرق في المباراة قد تدفع بعض أفراده إلى التشنج والاعتداء على أعضاء الفريق الفائز. غير أن سبب التشنج والعدوان بين الفريقين أو الجمهورين المؤيدين للفريقين المتبارين لايرجع إلى الخسارة فقط بل يرجع إلى عوامل دفينة وأحقاد ماضية ومتغيرات حضارية معقدة تقود للصراع وإثارة الفتن والشغب في الملاعب الرياضية.

على الجانب الآخر كانت هناك عوامل أخرى لزيادة حوادث الشغب في مصر، وهى أنها كانت واحدة من أفضل الملاعب السياسية المستعدة لاستقبال لعبة كرة القدم؛ فأكثر من نصف سكانها يعيشون تحت خط الفقر، وحالة من الإحباط تسيطر على النصف الآخر، وبالتالى فشعبها فى أمس الحاجة "لفرحة" حتى لو كانت مصطنعة من أجل تسكين الآلام، لذلك لعبت كرة القدم مع انتصاراتها الكبيرة فى مصر دوراً كبيراً فى خلق جيل جديد لا يرى الناس إلا من مرآة الكرة، ويعتبر فريقه فوق الجميع، ولديه استعداد أن ينفق كل ما يملكه من أجل الذهاب خلف فريقه فى المباريات، ويفكر طوال الوقت من أجل ابتكار أساليب جديدة فى التشجيع.

إنه شباب "الألتراس" الذى يعتبر نفسه خط الدفاع الأخير عن النادي، ويؤمن أن الألتراس أسلوب حياة داخل وخارج الاستاد، ويرفض تلقي الأموال من الأندية حتى يظلوا مستقلين رافعين شعار أنهم ليسوا للبيع ولا ينتمون لأشخاص. وكلمة "ألتراس" هي كلمة لاتينية مشتقة من Ultra بمعني الفائق أو فوق الطبيعي، أى أن من ينتمون لهذه المجموعة من الفائقين للعادة فى حبهم لناديهم

وهم عبارة عن مجموعة من الشباب اتفقوا فيما بينهم على أربعة مبادئ أساسية وهى:

١. عدم التوقف عن التشجيع والغناء طوال عُمر المباراة أياً كانت النتيجة، بل عليهم أن يستمروا فى الغناء أثناء خسارة الفريق وذلك حفاظاً على هيبة النادي ومكانته وقوة مدرجاته، ولإبراز وفاء منقطع النظير.

٢. عدم الجلوس نهائياً أثناء المباريات.. فهم لا يذهبون من أجل متعة مشاهدة المباريات ولكن من أجل مؤازرة الفريق وتشجيعه حتى تنتهي المباراة.

٣. حضور جميع المباريات الداخلية والخارجية أياً كانت التكلفة والمسافة، وحشد الجماهير لحضور المباريات خارج مدينة الفريق وذلك عن طريق استخدام أرخص وسائل النقل.

٤. الولاء والانتماء لمكان الجلوس في الاستاد.. فجماهير نادى الزمالك من الألتراس يجلسون فى "الدرجة الثالثة يمين" المقصورة الرئيسية للاستاد، أما جماهير النادى الأهلى فهم يجلسون فى "الدرجة الثالثة شمال" المقصورة وذلك حتى تكون لهم شخصية واضحة فى المدرجات.

ليست صدفة أن تدخل ظاهرة "الألتراس" مصر في أوائل عام ٢٠٠٧، وتحديدا في مباراة الزمالك والهلال السوداني التي شهدت ظهور أول علم ضخم كتب عليه كلمة ألتراس في الوقت الذى غرق فيه ١١ مصريا على السواحل الايطالية،فهذه الظاهرة نتيجة طبيعة لكل الأزمات والمشاكل والكوارث التي عاني – ومازال يعاني – منها جيل الشباب الذين وجدوا أنه فى الوقت الذى غرقت فيه عبارة السلام ٩٨ فى البحر الأحمر وهى تحمل أكثر من ١٣٠٠ شخص كانت مصر تحتفل بفوزها بكأس الأمم الإفريقية عام ٢٠٠٦.. وعندما أغرقت السيول محافظات أسوان وسيناء وتسببت فى وفاة مئات الأشخاص فى يناير ٢٠١٠ كانت الجماهير ترقص فى الشوارع احتفالاً بفوز منتخب مصر على منتخب الجزائر.

لذلك لم يكن غريباً أن يؤمن الشعب المصرى بأن "كل عقدة ولها حلال.. إلا عقدة شمال إفريقيا" لتصبح دول المغرب وتونس والجزائر أكثر الدول عداء للجماهير المصرية؛ فالمغرب لم نفز عليها منذ ربع قرن تقريباً، وتونس نحتاج دائماً لمعجزة للفوز عليها، أما الجزائر فرغم أنها أكثر الدول التي فاز فريقنا القومى على فريقها من بين دول الشمال الأفريقى، فإنها أصبحت على رأس الدول الأكثر عداء للجماهير المصرية بسبب مباراة استغلها السياسيون لإحراز أهداف سياسية، وجعلوا الناس لاتفرق بين "منتخب كرة" و "شعب شقيق" لدرجة جعلت أحد مقدمى البرامج الإسرائيلية يقول: "إن كرة القدم هي حرب عندما تكون بين مصر ودول شمال أفريقيا". في حين قال مقدم آخر: "يجب أن أتعلم ما يحدث في عالم كرة القدم، لأن هذا سياسة بكل معنى الكلمة، خلافات وأزمات دبلوماسية، وهناك اتهامات وكراهية بين البلدين وصلت إلى مستوى عالٍ لم نشهده من قبل". بينما علق موقع إسرائيلي قائلاً: إنها "حرب عربيِة عربية..وهذا يوضح كم الأمة العربية موحدة"!

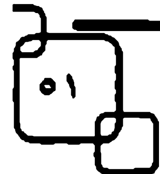
للأسف جعلنا عدونا يتسلل إلينا عبر كرة القدم ونسينا كل الروابط التي تجمعنا وحروب التحرير التى خضناها سوياً، وأصبحنا نسخر من القومية العربية رغم ماقاله العالم جمال حمدان، الذى قتله الموساد الإسرائيلى: "مصر بالذات محكوم عليها بالعروبة والزعامة فمصر لا تستطيع أن تنسحب من عروبتها لأنها إن فعلت ذلك تكون قد حكمت على نفسها بالإعدام وبالإنتحار وسوف تخسر نفسها ورصيدها بالماضى والمستقبل.. التاريخ والجغرافيا".

نادى فاروق

لماذا حظوظنا في كرة القدم أفضل منها بكثير في السياسة؟

لا تقل لي إننا جيدون في اللعب وفاشلون في السياسة، لأنه لكي تنجح ينبغي أن تكون جادا في الحالتين، وحين حاولت أن أبحث عن إجابة للسؤال وجدت أن ثمة فروقا مهمة بين الكرة والسياسة أجملها فيما يلي:

- في كرة القدم ينبغي أن يكون اللاعب موهوبا، وذلك في بلادنا ليس شرطاً في السياسي، الذي تتدخل في اختياره عوامل أخرى مختلفة، عائلية أو مالية أو علاقات شخصية.
- الأصل في لاعب كرة القدم أن يتم اختياره بعد أن يقطع شوطاً طويلا في الملعب يثبت فيه جدارته، ومن ثم يتدرج في مستوى الفرق حتى يفرض نفسه على الصف الأول، أما الأصل في السياسي عندنا أنه يحتل مكانته إذا حالفه الحظ وخدمته



الصدف السعيدة. إن شئت فقل إن اللاعب لابد أن يكون له تاريخ في الملعب، أما السياسي فلا يهم أن يكون له تاريخ.

- اللعبة في كرة القدم لها قواعد وقوانين وخطط ينبغي أن يلتزم الفريق بها حتى يضمن الفوز، أما السياسة عندنا فهي بلا قواعد أصلا، وكثيرا ما يكون مزاج السلطان هو الفيصل في أمور كثيرة.

- في الكرة لابد من وجود مدرب، وهناك تدريبات يومية، والمدرب هو الذي يضع اللاعب المناسب في المكان المناسب، أما في السياسة فالأمر مختلف تماما، إذ لا حاجة إلى مدرب أو تدريب، لأن الإرادة السلطانية كفيلة بكل شيء، فهي التي تحدد خطة «اللعب» وتوزيع المهام على اللاعبين، أما تحديد المناسب وغير المناسب فهو يتم من خلال انطباعات ذاتية أولا وأمنية ثانيا.

- في الكرة لا مكان لواسطة أو وراثة أو أي اعتبار آخر غير الكفاءة، في حين أن هذه المعايير المستبعدة في الرياضة أصبحت هي الأصل في السياسة.

- في الكرة والرياضة يتم اللعب على المكشوف، والجمهور هو الحكم، والفوز يقاس بتحقيق الأهداف التي يراها الناس بأعينهم. أما السياسة عندنا فهي تنتمي إلى عالم الأسرار والألغاز، وأهم قراراتها تطبخ في الظلام.

- ليس هناك لاعب إلى الأبد في كرة القدم وكل لاعب لابد أن يعتزل يوماً ما. أما في السياسة، فالقائم على الأمر يصر على أن يشغل موقعه حتى آخر نفس، وعزرائيل وحده هو الذي يمكن أن يجبره على الاعتزال.

- في كرة القدم استمرار المدرب في موقعه مرهون بقدرته على الإنجاز، وفشله يفقده منصبه وإنهاء عقده، أما في السياسة فالفشل لا يترتب عليه أي مسؤولية أو حساب.
- في كرة القدم يقتصر دور الأمن على حراسة الملعب، أما في السياسة فالأمن هو الحكم، وأحياناً يكون وحده الذي يلعب، والله أعلم.(١)

الكرة مثل السياسة فيها مكسب وخسارة، وتخطيط وفكر، وإصابات ومغامرات، وقوة وسرعة.. لكن الكرة فيها فريقين، والسياسة – عندنا– فريق واحد.. الكرة فيها حكومة (الأهلي) ومعارضة (الزمالك) لكن السياسة عندنا حكومة فقط.

العلاقة بين الكرة والسياسة بدأت منذ اليوم الأول لدخول كرة القدم إلى مصر على يد الاحتلال البريطاني، فلم يجد الإنجليز أى مشكلة فى ممارسة المصريين لكرة القدم بل كانوا فى غاية السعادة، حين وجدوا المصريين يلعبون تلك اللعبة التى اخترعوها لإذلال الشعوب أو لإلهائهم.. فقد بدأت فى أحد معسكرات الجيش البريطانى فى القرن الحادى عشر تحت اسم "رأس الدنماركى" فقد كان الإنجليز يلعبون برءوس الأسرى من الدنماركيين !

بعد ذلك انتشرت كرة القدم فى شوارع مصر، وظهر ما يمكن أن يطلق عليه اسم " منتخب " وكان أساسه من لاعبى أحياء القاهرة، و لم يكن غريباً أن يلعب هذا الفريق – الذى يمثل مصر فى الأساس – أمام فريق

(١) فهمى هويدى : الشروق، فى ٢١ يونيو ٢٠٠٩

الجيش البريطاني، بل ينتصر عليه في كل مرة يلعب فيها. فقد اعتبرناها فرصة للتفوق على قوات الاحتلال فى كرة القدم، بعد أن أصبح من الصعب التفوق عليهم في مجالات أخرى بل إن قوات الاحتلال كانت تشجع المصريين على اللعب فأصدرت قراراً فى عام ١٨٩٢، يقضى بجعل التربية البدنية مادة أساسية في المدارس، وبدأ النظار فى تأسيس فرق لكرة القدم بعد أن ظهرت عدة محاولات لتنظيم شئون اللعبة، لكن انحصر نشاطها لفترة طويلة فى المدارس الابتدائية حتى ظهر أول فريق كرة للنادى الأهلى عام ١٩٠٩ ،وارتبط به ملوك مصر وأمراؤها.

الملك فاروق ارتبط بكرة القدم منذ أن كان طفلاً صغيراً. ففى ١١ من فبراير ١٩٢٠ أطلق والده الملك أحمد فؤاد اسمه على أول بطولة كروية، وعندما كبر وجلس على العرش كان أول من تنبه إلى أن "لعبة السياسة" تحتاج دائما إلى "لعبة الكرة".. فأصبح صاحب السبق فى تهيئة مصر كلها لاستقبال هذا الحدث وسعى بكل ما أوتى من قوة إلى أن يجعل كرة القدم تدخل دائرة اهتمامات الناس وتحتل مساحة من حياتهم، لأن هذا يمكن أن يصرف انتباههم عن حياته الخاصة، التى تحولت إلى مادة ثرية ومثيرة يتداولها الناس فى كل مكان.

وكانت الذروة حين خرجت المظاهرات إلى الشوارع تهتف " من لا يحكم أمه لا يحكم أمة " وذلك بعد ما قيل عن كثرة علاقات أمه الملكة "نازلى" مع الرجال، خاصة مع أحمد حسنين باشا – رئيس الديوان الملكى.

اهتمام "فاروق" بكرة القدم له أسباب على رأسها أنه حاول أن يستخدم كرة القدم لجر الناس إلى الملاعب بعيداً عما كان يجرى فى قصر جلالته، أو على أرض فلسطين، أو بين الأحزاب فى الساحة السياسية !!..لذلك

لم يكن غريبا أن تبدأ بطولة الدورى لأول مرة فى عام النكبة ١٩٤٨، فكل الظروف "السياسية" كانت مهيأة لاستقبال الحدث "الرياضى":

- الملك أراد أن يلعب بالكرة في ملعب السياسة بعد أن أصبحت مغامرته حديث الناس فى كل مكان.
- طلاق الملك لزوجته الملكة "فريدة" وهتاف الناس تضامناً معها "خرجت من بيت الدعارة إلى بيت الطهارة".
- الصراع بين الأحزاب والقصر والاحتلال مازال قائماً وعنيفاً ووصل ذروته لدرجة جعلت القصر يقوم بمحاولة اغتيال للنحاس باشا لكنها فشلت.
- ضباط الشرطة خرجوا لأول مرة فى التاريخ يتظاهرون فى جميع أنحاء مصر يهتفون "يسقط الظلم" ولجأت الحكومة للجيش لتفريقهم.
- أضرب الممرضون بمستشفى قصر العينى عن العمل وطالبوا بتطبيق كادر العمال(تخيل موضوع الكادر من أيامها) ولم يفرقهم إلا تدخل قوات من الجيش والشرطة معا.
- قامت منظمتا الأرجون وشيترن الإسرائيليتان بقتل ما يزيد على ٢٥٠ عربياً ما بين رجال واطفال ونساء بقرية دير ياسين.
- المجلس الوطنى اليهودى يعلن فى تل أبيب قيام دولة إسرائيل، وفى نفس اليوم أعلنت موسكو اعترافها بالدولة الجديدة ثم اعترفت الولايات المتحدة بعدها بيومين.

فى هذا التوقيت وجد الفريق حيدر باشا - القائد العام للقوات المسلحة ورئيس نادى الزمالك – ضالته فى الفكرة التى طرحها محمود بدر الدين، أحد المعاونين له، وتقضى بإقامة بطولة الدورى فى نفس العام الذى حدثت فيه نكبة فلسطين ليبدأ الدورى فى يوم ٢٢ من أكتوبر ١٩٤٨ كوسيلة رياضية لتحقيق غاية سياسية!

فرغم كل ما قيل عن حب الملك فاروق لكرة القدم ولنادى الزمالك فإن كل الوقائع تؤكد عكس ذلك فقد بدأ تشجيع فاروق للزمالك عندما كان يحضر مباراة نهائى كأس مصر بين الأهلى والزمالك عام ١٩٤٤ وتألق الزمالك فى هذا اليوم، وتمكن من الفوز على الأهلى بستة أهداف نظيفة مما جعل فاروق يقرر إطلاق اسمه على النادى ليصبح " نادى فاروق " بدلا من "المختلط".. و فى الوقت نفسه كان ينحاز للنادى الأهلى ويذهب لمشاهدة مبارياته فى الاستاد - بصحبة الإنجليز – لكسب ود جماهيره الكبيرة وتعاطفهم معه ، وجعل الناس تتجاوز عن أخطائه التى وقع فيها على المستويين الشخصى والسياسى.

الشىء الوحيد الذى يجعلنا نظن أنه كان يحب الكرة فعلا هو أنه بعد خروجه من مصر عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ظل يراهن بأمواله على نتائج مباريات كرة القدم فى إيطاليا - التى عاش فيها- حتى وفاته فى ١٧ من مارس عام ١٩٦٥.

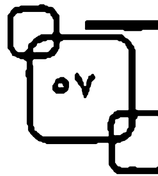
لكن الفريق حيدر باشا كان انتماؤه لنادى الزمالك حقيقياً بل كان مبالغا فيه، فقد كان يجمع لاعبى الزمالك وإدارييه قبل مبارياتهم المهمة أمام الأهلى، وفى إحدى المرات عرضت عليه اللجنة المختصة بكرة القدم أسماء لاعبى الفريق الذين سيواجهون الأهلى فقام حيدر باشا بقراءتها

ووجه كلامه إلى حنفى بسطان – أحد أهم لاعبى الفريق – وقال له: اقرأ أسماء الفريق، ففعل، وعندما انتهى من القراءة سأله حيدر باشا عن رأيه فى هذا "التشكيل" فقال: ضعيف جداً. فقال له حيدر باشا إذن اكتب الفريق الذى تراه مناسباً فكتب حنفى بسطان الأسماء وأعطاها له. لكنه رد الورقة من جديد لحنفى بسطان وطلب منه أن يضع إمضاءه عليها حتى يتحمل المسئولية أمام الجماهير وأمامه فى حالة الخسارة(١)..

وبالتالى كان قيام الثورة منطقياً فى ظل انشغال الرجل الأول فى الجيش بوضع الخطة المناسبة لمواجهة الأهلى !

---

(١) خالد توحيد : حكايات الدورى نصف قرن من الكرة والسياسة، الأهرام للنشر، ص ٣٥





استاد ناصر

" مصر ما تخسرش فى أى حاجة.. حتى لو كانت مباراة فى كرة القدم" هذه كانت قناعة جمال عبد الناصر التى لم يتخل عنها مطلقا، ففى عام ١٩٦٢ فكر التوأم مصطفى وعلى أمين فى دعوة منتخب البرازيل للعب فى القاهرة مع منتخب مصر - بعد أن فازت البرازيل بكأس العالم - بحيث يؤدى ثلاث مباريات، اثنين فى القاهرة وواحدة فى الإسكندرية ، وعندما علم عبد الناصر بالخبر اتصل بمصطفى أمين تليفونياً ليلومه على تلك الفكرة التى بدأ فى تنفيذها وقال له، " انت رايح تجيب فريق يغلبنا ". وكانت وجهة نظره أنه لا يريد أن ننهزم أبداً حتى لو كانت الهزيمة فى كرة القدم، بل إنه كان فى غاية الحزن عندما خسر الفريق القومى المباريات الثلاث التى لعبها مع منتخب البرازيل.

جمال عبد الناصر لم تكن تعنيه كرة القدم كلعبة رياضية لكنه كان يلجأ إليها من آن لآخر كلعبة سياسية، فبعد أن قامت الثورة لم تكن كرة القدم فى أولويات أحد من الضباط الأحرار لكن بعد إعلان تأميم قناة السويس ومغادرة آخر جندى بريطاني لأرض مصر، وهزيمة العدوان الثلاثي "فرنسا وبريطانيا وإسرائيل" بدأت كرة القدم تتسلل إلى الساحة السياسية، فالمعارك توقفت والأحزاب صدر قرار سابق بحلها فى ١٦ من يناير ١٩٥٣، وبالتالى لم يكن أمام الناس إلا الانضمام لحزب من اثنين إما الأهلى أو الزمالك. لذلك كان بديهياً أن يقيم الرئيس لهما استاداً جديداً هو "استاد ناصر".

الأستاذ محمد حسنين هيكل يؤكد هذا بقوله: أنا على استعداد أن أقول إن جزءاً كبيراً جداً بالاهتمام بالكرة هو بديل وتعويض عن الاهتمام بالسياسة، وإن النوادى تحولت إلى أحزاب سياسية بما فيها من أفكار واتجاهات، فكل إنسان فى الدنيا لابد له بشكل ما وطريقة ما أن ينحاز.. وفى وقت من الأوقات زمان كانت هناك قضية الاستقلال والتوجهات الاجتماعية، وكانت القضايا واضحة، وكانت الناس تنحاز لها، وكنت تجدهم إما وفديين، أو إخوان مسلمين، أو شيوعيين، وكانت هناك صراعات وكان هذا مجال انحياز الناس، وعندما ابتعدت السياسة عن الأذهان – لأسباب طويلة لا يتسع المجال لذكرها – بدأت النزعة إلى الاختيار والانحياز تتجه اتجاهاً آخر. وهناك بعض الدول شجعت على صرف الشباب عن السياسة إلى الاهتمام بنوادى الكرة والصراعات فيما بينها لأنها تدرك – وهو إدراك سليم – أن الانحياز نتيجة للاختيار، والتعصب لشيء والانتماء إليه بشكل أو بآخر، والوقوف بجانبه والدفاع عنه غريزة اجتماعية ضرورية ومطلوبة.

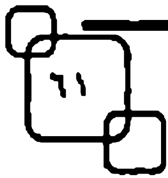
ويستكمل هيكل كلامه قائلا: العلاقة بين كرة القدم والسياسة شديدة الاقتراب، وكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، وتقف كرة القدم على وجه الخصوص - ودون غيرها من الرياضات - في موضع متميز، وبقيت هى الأكثر ارتباطاً بالسياسة فى كثير من الأحيان وفى كل الأزمان ! والطبيعي ألا يجد الناس مع ثورة يوليو سوى الانحياز لكرة القدم، والتعصب للأهلى أوالزمالك، والوقوع فى هوى الدورى العام. فلم يكن هناك شيء آخر بالمعنى المفهوم؛ فالأحزاب لم يعد لها وجود ، وبقيت الكرة تجتذب الناس إلى صراعاتها ومعاركها، وهكذا كانت السياسة أشد تأثيراً فى كرة القدم أكثر من أى شيء آخر.

ويضيف هيكل: لم أشعر أن جمال عبد الناصر له انحياز واضح، وانحيازاته - في واقع الامر - كانت متجلية فى أشياء مختلفة، وأظن أن عبد الناصر كان مهتماً بالأندية، أو بالرياضة من وجهة نظر السياسة، ورأى أن هذا جزء مكمل وضرورى لبلد يتصارع سياسياً مع قوى كثيرة فى عدة مجالات بما فيها الرياضة، وبالتالى كان يهتم بمن يعبر المانش، وبمباريات الكرة فى أفريقيا، وكان ينظر إليها في واقع الأمر كسفارات، وغير ذلك لا أتذكر أنني سمعته يأخذها كمسألة ناد ضد ناد.(١)

ما قاله الأستاذ هيكل أقرب الأحياء إلى قلب جمال عبد الناصر يجب الوقوف أمامه، فالرئيس عبد الناصر كان لا يرى فى كرة القدم إلا أنها يمكن أن تخدم أهدافه الوطنية، وقد كانت المرة الأولى التي يتحدث فيها عبد الناصر عن كرة القدم عندما طالب بأن تسهم كرة القدم فى صفقة

---

(١) خالد توحيد : حكايات الدورى نصف قرن من الكرة والسياسة، مصدر سابق، ص ٢٥



تسليح الجيش المصرى، وأن يتم تخصيص جزء من مباريات الدورى العام لصالح تسليح مصر، ويومها أكد أن هذا هو أهم الأدوار التى يمكن أن تقوم بها كرة القدم، وعلى الفور أعلن اتحاد كرة القدم موافقته على هذا الطلب.

واستجابت الأندية وتسابقت لتنفيذ أوامر الرئيس وفى مقدمتها الأهلى والزمالك، واتفق الناديان على تخصيص جزء من إيراد مباراتهما معاً التى أقيمت فى أكتوبر عام ١٩٥٥ على ملعب النادى الأهلى لصالح تسليح الجيش المصرى وكانت أول مباراة لكرة القدم يحضرها الرئيس جمال عبد الناصر، وكانت المرة الأولى التى يلعب فيها الأهلى والزمالك معاً لصالح تسليح جيش مصر.

وقد فوجئ قادة الثورة فى مقصورة استاد الأهلى بأحد المتفرجين يقترب من الرئيس عبد الناصر بعدما تقدم الأهلى ١/٢ وأصر على أن يعطيه قطعة حلوى، وقبلها الرئيس مبتسماً وسعيداً مما اعتبره البعض إشارة حب للأهلى وفرحة بانتصاره.. ولكن المباراة انتهت بالتعادل وبألف ومائتى جنيه لخزينة الجيش.

ومثلما نجح عبد الناصر فى إجبار الجميع على أن يلعبوا الكرة لمصلحة جيش مصر أراد من المسئولين عن الكرة فى مصر الاهتمام بأفريقيا لتعميق علاقات مصر الأفريقية عن طريق الكرة وفى ملاعب الكرة؛ ولأنه جمال عبدالناصر؛ ولأن مصر وقتها كانت مصر فقد كان من الضرورى أن تستجيب أفريقيا لهذه الدعوة.. وبالفعل سافر عبدالعزيز سالم ومحمد لطيف بتكليف رئاسى إلى البرتغال للاجتماع بممثلى السودان وجنوب أفريقيا لمناقشة فكرة تأسيس الاتحاد الأفريقى

وإطلاق مسابقة بين منتخبات القارة الأفريقية، وكانت تعليمات جمال عبد الناصر للوفد المصرى واضحة، وأن مصر تريد إقامة بطولة لأفريقيا ولكنها لا تريد البطولة الأولى فى القاهرة، بل تريد منحها للخرطوم اعتزازاً بالسودان(١)

عبد الناصر لم يحب كرة القدم لكنه أحب الشعب الذى وقف خلفه حيا، وخرج بكل طوائفه ليودعه ميتا، وكان يخشى أن يتحول الشعب إلى جمهور. وفي الوقت نفسه لم يستطع أن يتوقف عن توظيف الكرة فى خدمة السياسة، ففى موسم ٦٥– ٦٦ واجه فريق الأهلى موقفاً صعباً فى الدورى، حيث وصل به الحال إلى احتلاله المركز العاشر، وفى أعقاب تكرار الهزائم، ومع المخاوف التى راحت تنتاب الكثيرين من احتمال هبوط الأهلى لدورى الدرجة الثانية، اجتمع مجلس قيادة الثورة، وجرى الحديث حول الأهلى والأزمة التى يعيشها، وصدر قرار من جمال عبد الناصر أن يتولى الفريق عبد المحسن كامل مرتجى رئاسة النادى (فى ديسمبر ١٩٦٥)، وانتهى الموسم باحتلال الأهلى المركز السادس فى بطولة الدورى وحصل على بطولة الكأس، وقد كان لهذه البطولة تقدير بالغ من جماهير الأهلى، التى خرجت إلى الشوارع بأعلامها الحمراء لتحتفل بهذا الفوز، وتصادف فى هذا اليوم أن الزعيم السوفيتى " خروتشوف " كان يزور مصر وتصور أن الأعلام الحمراء التى تزينت بها شوارع القاهرة كانت لتحيته؛ لأن اللون الأحمر هو رمز الشيوعية !

لكن انحياز الناس لكرة القدم وانشغالهم بها بلغ ذروته قبل عام

---

(١) ياسر أيوب : المصرى اليوم، فى ٧ يناير ٢٠١٠

واحد من النكسة عندما وصلت درجة الانحياز والتعصب إلى حد وقوع أحداث شغب عنيفة لم تشهدها ملاعب مصر من قبل، و لم تتكرر بنفس الدرجة بعد ذلك، وكانت هذه الأحداث تتمثل فيما جرى على ملعب الزمالك فى مباراة الأهلى والزمالك يوم ١٨ مارس ١٩٦٦، فقد شهد هذا الملعب سقوط عشرات من الجرحى واشتعال العديد من الحرائق بسبب احتجاج لاعبى الأهلى على هدف سجله عمر النور لصالح الزمالك.

بمجرد أن وقعت نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧، كان على كرة القدم أن تتحمل كل كوارث الدنيا، فكل من يكرهها وجد الفرصة سانحة للهجوم عليها وجعلها السبب الأول فى النكسة، وأنا لا أنفى أنها كانت واحدة من أسباب هزيمة ٦٧ ! نعم الكرة كانت من أسباب الهزيمة حين جعلت المشير عبد الحكيم عامر يترك شئون الجيش ويتفرغ لشئون اللاعبين !.. الكرة كانت سبب الهزيمة لأنها حولت الشعب المصرى إلى جمهور المنتخب الوطنى !.. لكن السؤال من الذى جعلها تلعب هذا الدور ؟ ومن الذى منحها حجم أكبر من حجمها بكثير ؟ ومن الذى جعل كل رؤساء الاتحادات والأندية الكروية ضباطاً ؟! مما جعل كل المؤشرات "الرياضية" تؤكد أن هناك نكسة "سياسية" قادمة، حتى إنه عام ١٩٦٦ صدر كتاب ضخم تحت عنوان "الثورة والرياضة" ضم كل إنجازات الفرق الرياضية باعتبارها إنجازات للثورة ورجالها وجاء فى مقدمته:

إن هذا الزحف الثورى الرياضى ماض فى طريقه، وسنرى قريباً أن جميع الاتحادات والأندية قد احتضنها رجال الثورة لينفثوا فيها من روحهم الثورية ومعتقداتهم التقدمية مما يرفع من شأنها ويجدد من

شبابها ويدفع بها خطوات وخطوات إلى الأمام.

ورصد الكتاب قائمة بالسادة المسئولين عن الاتحادات الرياضية والأندية وهم:

السيد المشير / عبد الحكيم عام	رئيس الاتحاد العربى لكرة القدم
السيد / أنور السادات	رئيس الاتحاد العربى لتنس الطاولة
السيد / حسين الشافعي	رئيس الاتحاد العربى للفروسية
السيد / زكريا محيي الدين	رئيس الاتحاد العربى للتجديف
السيد / على صبرى	رئيس الاتحاد العربى للسباحة
السيد / عبد المحسن أبو النور	رئيس الاتحاد العربى لكرة السلة
الفريق أول / عبد المحسن مرتجى	رئيس النادى الأهلى
الفريق أول / سليمان عزت	رئيس النادى الأوليمبى
الفريق / أنور عبد اللطيف	رئيس نادى الاتحاد السكندرى
السيد / حسن عامر	رئيس نادى الزمالك
السيد / صلاح الشاهد	رئيس نادى الترسانة
الفريق / على حافظ	رئيس نادى الطيران

والسادة المحافظون يرأسون جميعاً مجالس إدارات الأندية الرياضية التى تقع فى محافظاتهم.

تلك القائمة تشكلت تحت سمع وبصر جمال عبد الناصر ورعاية المشير عامر الذى كان يحب كرة القدم بشكل لا مثيل له، فتولى رئاسة اتحاد الكرة المصرى فى فبراير ١٩٥٨، وكان انحيازه لنادى الزمالك من الثوابت التى لا يجوز النقاش فيها مما أعاد للزمالك هيبته التى كان قد

فقدها برحيل الملك فاروق، و ترتب على ذلك تحول عدد من الجماهير إلى تشجيع الزمالك، ليصبح الزمالك بمثابة الحزب الوطني والأهلي بمثابة المعارضة، وفي هذا التوقيت كان حكام المباريات يسعون بكل الطرق لمجاملة الزمالك لدرجة جعلت الناقد الرياضي نجيب المستكاوى يكتب مقالاً في الأهرام بعنوان "هل لابد أن يفوز الزمالك؟" ويومها تصادف أن التقى المشير عامر الأستاذ هيكل بعد أن قرأ مقال المستكاوى وقال له "هو الجدع اللي اسمه المستكاوى ده مش ناوى يجيبها البر؟" فسأله هيكل: ليه؟ خير، فشرح له المشير حكاية المقال، وفي اليوم التالي لهذه المقابلة قابل الأستاذ هيكل، نجيب المستكاوى، وقال له : هو أنا ناقص يا سي نجيب.. موش كفاية الأزمات السياسية.. أنا فاضي للأزمات الرياضية كمان!

وتساءل المستكاوى عن سبب هذا الكلام، فحكى له هيكل ما حدث، فرد المستكاوى: الحكاية أن رئيس نادى الزمالك المهندس حسن عامر شقيق المشير وطبيعي أن يحاول الكثيرون مجاملته مع أن الفريق قوى ولا يحتاج إلى مجاملة من أحد.. وتناول هيكل المقال وراح يقرأه بتأن وعندما انتهى منه وجه كلامه للمستكاوى وقال: براءة يا نجيب الموضوع انتهى !(١)

حكايات انحياز المشير عامر للزمالك وانشغاله بكرة القدم كثيرة، لكن أكثرها غرابة كانت عندما تصدرت غلاف مجلة المصور صورة اللاعب محمد رفاعي - لاعب الزمالك- وهو يمسك بتلابيب على

(١) خالد توحيد : حكايات الدورى نصف قرن من الكرة والسياسة، مصدر سابق

قنديل - الحكم الدولى والعميد المتقاعد- بيد ويرفع يده الأخرى إلى أعلى ليضربه بها على وجهه.. وفى أول اجتماع لاتحاد الكرة بعد هذه الواقعة علق اللواء عبد الله رفعت قائلاً: "أن يضرب عسكرى عميداً فى الجيش على الملأ فى ملعب كرة فهو أمر خطير ولا يمكن السكوت عنه. ويومها اتصل به مكتب المشير عامر ودارت هذه المكالمة (التى روى تفاصيلها عبد الله رفعت للناقد الرياضى عبد الرحمن فهمى):

- المشير: أنا وصلنى كل الكلام اللى قلته فى اتحاد الكرة من يومين ياعبد الله أنت فاكر الحكاية فوضى ؟
- رفعت: ده برضه كان العشم يا افندم.
- المشير: عشمك فى إية.
- رفعت: عشمنا فى سيادتك.. أنك قلت لايمكن تقبل هذا الوضع الخاطئ.
- المشير: أنت مش عارف العسكرى ده اللى بتقول عليه بيلعب فى نادى إية، والنادى ده مين يبقى رئيسه وأن رئيسه ده يبقى أخويا ؟!
- رفعت: عارف ياافندم.
- المشير: طب مادام أنت عارف.. تهاجم إزاى نادى الزمالك.. أنا بشرفى لولا إنى أعرفك كويس كضابط ممتاز لكنت أمرت باعتقالك دلوقت !!(١)

لكن فى أعقاب نكسة يونيو ٦٧ تم إيقاف كل مسابقات كرة القدم، وصدر قرار بعزل كل الضباط الذين لهم صلة بكرة القدم لدرجة أن

---

(١) عبد الرحمن فهمى : حكايات رياضية، أخبار اليوم، ص ١٧٨

الفريق محمد فوزى استدعى الضظوى – اللاعب الشهير حينها– وأخبره بالاستغناء عنه كملازم، فرد الضظوى: ياأفندم يعنى لامعاش ولاكورة.. طيب آكل منين ؟ فكان رد الفريق فوزى:" أنا عندى لك حل كويس.. فيه أكل فى السجن الحربى " فرد الضظوى:" السلام عليكم".

لكن بعد شهور قليلة من النكسة وتحديداً فى نوفمبر ١٩٦٧، قام الرئيس عبد الناصر بمنح صالح سليم – لاعب الأهلى – وسام الرياضة من الطبقة الأولى تقديراً لتاريخه الطويل وكأنه أراد أن يصالح الرياضيين عبر أحد رموز الكرة فى مصر لتكون بمثابة آخر خطوة يقوم بها الزعيم الراحل فى ملعب كرة القدم ليتفرغ لحرب الاستنزاف التى عانت منها إسرائيل وتكبدت فيها خسائر أكبر من خسائرها فى حرب أكتوبر.

سداح.. مداح

بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فى ٣٠ من سبتمبر ١٩٧٠، صعد الرئيس محمد أنور السادات ليجلس على كرسى الحكم فى أول أكتوبر ليحكم مصر لمدة ١١ عاما، شاء القدر أن تنتهي فى أكتوبر أيضا، فلم تكن تلك السنوات تسمح له بأن ينشغل بأى شيء خارج دائرة السياسة، فالأضواء كلها كانت مسلطة عليه من اليوم الأول وكان عليه أن يلمع وسط تلك الأضواء مهما بلغت شدتها.

ففي البداية انشغل بتثبيت أركان حكمه وضبط إيقاع السياسة المصرية داخليا قبل أن يتفرغ لمن أطلق عليهم "مراكز القوى"، ويقصد بهم هؤلاء الذين كانوا أصحاب النفوذ والقوة من الوزراء وكبار المسئولين أيام عبد الناصر. وفى مايو ١٩٧١ قرر أن يكتب نهايتهم فقام باعتقالهم بعد أن تقدموا باستقالة جماعية قبلها ليضعهم فى السجن بعدها بساعة واحدة.

وفى عام ١٩٧٢ كانت المظاهرات الطلابية لا تتوقف (قبل تعديل اللائحة التى أنهت الحياة السياسية داخل الجامعة) وكلها كانت تطالب الرئيس السادات بإنهاء حالة " اللاسلم واللا حرب " التى كانت تعيشها مصر بعد النكسة مما جعله دائماً هدفاً للهتافات التى كانت تتصدى لها الشرطة، وفى نفس هذا العام كانت هناك واقعة لأحداث شغب كبيرة بسبب ضربة الجزاء التى احتسبها "الديبة" حكم مباراة الأهلى والزمالك على مروان كنفانى حارس الأهلى، والتى كانت نتيجتها سقوط عشرات الجرحى، بل إن تلك الحادثة تسببت فى عدم إكمال مسابقة الدورى خاصة أن حكم المباراة كان معروفاً عنه أنه يشجع الزمالك، وكانت جماهير الزمالك عندما تتأزم الأمور فى مباراة يكون هو أحد حكامها تهتف له " ديبة يا بطل.. الزمالك فى خطر" بعدها بدقائق يحرز الزمالك هدفاً أو تحتسب له ضربة جزاء!

وفى عام ١٩٧٣، أنهى السادات حالة "اللاسلم واللاحرب" وخاضت مصر أشرف وأهم معركة فى تاريخ العسكرية المصرية وانتصرت على العدو الإسرائيلى وعبر الجندى المصرى البطل خط بارليف لتسترد مصر كبرياءها وتستعيد كرامتها.

بعد انتهاء الحرب بقرار وقف إطلاق النار فى عام ١٩٧٤، بدأ السادات فى تنفيذ أفكاره وبدأ بسياسة الانفتاح التى أطلق عليها الكاتب الصحفى أحمد بهاء الدين "الانفتاح سداح مداح" وكان بالفعل "سداحاً" بجد و"مداحاً" على حق، حيث جعل تاجر الخضار أهم من دكتور الجامعة، والسباك تحول إلى رجل أعمال، ومستورد الفراخ أصبح مليونيراً.

فى عام ١٩٧٧، تفجر بركان الغضب داخل الشعب المصرى احتجاجاً

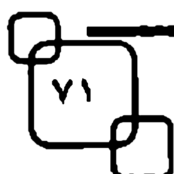
على عملية رفع الأسعار التى قامت بها الدولة على السلع الأساسية، فقامت مظاهرات حاشدة يومى ١٨ و ١٩ من يناير، لكن السادات سخر منها وأطلق عليها " انتفاضة حرامية " وليست انتفاضة شعبية، ربما لذلك فى نفس العام بدأ يتحرك على طريق السلام مع إسرائيل وأعلن فى خطبته الشهيرة "أنه على استعداد أن يذهب إلى آخر العالم للسلام.. بل هو على استعداد أن يذهب إلى الكنيست الإسرائيلي ذاته " ليذهب فى ٢١ من نوفمبر إلى تل أبيب.

لتبدأ مفاوضات السلام التى استمرت حتى توقيع الاتفاقية فى منتجع "كامب ديفيد" بالولايات المتحدة لنخرج منها بتطبيع بين مصر وإسرائيل على المستوى الرسمى، وكراهية وعداء من المصريين للصهاينة على المستوى الشعبى، وليصبح الرئيس السادات بطلا للحرب والسلام.

فى ظل كل هذه الأجواء السياسية لم تكن هناك فرصة لدى الرئيس الراحل لينظر إلى كرة القدم أو يعطى لها مساحة من وقته، فقد كانت على هامش اهتماماته وبالتالى كانت خارج اهتمامات الدولة ورجالها على المستوى الرسمى، فلا تستطيع أن تتهم عصر السادات بأنه أبقى على العلاقة الحميمية والساخنة بين السياسة وكرة القدم - على حد وصف خالد توحيد- و الدليل على ذلك أنه:

أولاً: لم يضبط أحد رئيس الدولة وهو يشاهد مباراة من مباريات الدورى، حتى لو كان الزمالك أو الأهلى طرفاً فيها تفادياً لشبهة الأنحياز لهذا الطرف أو ذاك.

ثانياً: لم يحدث أن صادف الناس مسئولاً رفيعاً، أو رجلاً سياسياً



يعتاد الذهاب للملاعب ليمارس متعة مشاهدة كرة القدم على الطبيعة.

ثالثاً: لم يكن من الوارد أن تجد رجلاً بحجم المشير عبد الحكيم عامر، أو الفريق محمد حيدر باشا، يتولى رئاسة اتحاد الكرة، أو أى ناد من الأندية، أو أن يكون له علاقة مباشرة بكرة القدم، وكان من الصعب أن تكشف واحداً من رجال السلطة يعلن انتماءه للأهلى أو انحيازه للزمالك.

فلم يتدخل السياسيون فى الرياضة إلا فى حالات نادرة منها ما حدث فى ٢ من فبراير ١٩٨١، عندما وقعت أزمة كبرى استدعت تدخل الدكتور فؤاد محيى الدين – رئيس الوزراء وقتها – والقضية أن الأهلى كان يستعد لأداء مباراة مع فريق الكروم في موسم ٨١/٨٠ وفجأة تقرر إقامة المباراة على ملعب نادى الاتحاد بدلاً من استاد الإسكندرية – دون إخطار الأهلى – فما كان من النادى الأهلى إلا أن أرسل لاتحاد الكرة خطاباً يبلغه فيه بعدم الموافقة على اللعب، أو تأجيل المباراة لأنها فى غاية الحساسية وتؤثر نتيجتها فى نادى الاتحاد، ومن الطبيعى ألا تقام المباراة على أرضه، وتصاعدت الأزمة بشدة وتحولت إلى قضية رأى عام، فتحركت الشخصيات السياسية البارزة، وكان فى مقدمتها رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشعب ووزير الداخلية، وتم إقناع الأهلى بأداء المباراة وفق ما قرره الاتحاد، وهو ما حدث بالفعل، وانتهت الأزمة الكروية بجهد رجال السياسة.

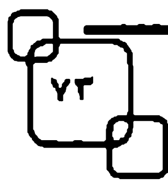
لكن أكثر الحوادث فى عصر السادات التى تؤكد عدم اهتمامه بكرة القدم أن السيدة جيهان السادات طلبت من الفريق عبد المحسن مرتجى – رئيس النادى الأهلى وقتها – إقامة مباراة ودية بين الأهلى والزمالك يخصص دخلها لصالح جمعية الوفاء والأمل، ولما اكتشف الفريق مرتجى

أن هناك ما يقرب من ستة لاعبين من الفريق الأساسي مصابين، وهذا يعني أن الأهلي سيخسر إذا أقيمت المباراة، فاتخذ قراراً بعدم إقامة المباراة، وهو ما لا يمكن أن يحدث أبدا إذا كان السادات يشاهد كرة القدم حتى لو من بعيد.(١)

على الرغم من تلك الحادثة فإن هناك من يقول إن الرئيس الراحل كان "أهلاوى" لكن رأيي أن هذا الإنتماء من المؤكد أنه كان قبل أن يحكم مصر لأن السادات كان مشغولاً بالقضايا السياسية وبنفسه لدرجة تجعله لا يرى كرة القدم من الأساس، وإن رآها يشعر بأنها تنافسه في خطف الأضواء، وهو لم يكن يقبل مطلقاً أن يخطف منه أحد الأضواء، وحتى في مشهد وفاته الذى (أبكى العالم أجمع) على يد عبود الزمر ورفاقه من أعضاء الجماعة الإسلامية، الذين أخرجهم من السجون، احتكر الأضواء لنفسه.

رحمه الله كان يجيد خطف الأضواء حياً وميتاً !

(١) خالد توحيد : حكايات الدوري نصف قرن من الكرة والسياسة، مصدر سابق



تليفونات السيد الرئيس

أدرك الرئيس مبارك منذ بداية حكمه أن أهمية أغلب المثقفين عند الجمهور المصرى لا تتعدى أهمية لاعب واحد فى المنتخب القومى، فقرر أن يجتمع بالمثقفين وكبار الكتاب مرة واحدة فى السنة فى معرض الكتاب، يجلسون فيها أمامه مثل تلاميذ ثانوى - على حد وصف الدكتور جلال أمين - لكنه حرص على استقبال لاعبى الكرة ومدربيهم أكثر من مرة فى قصر الرئاسة أو مقابلتهم على سلم الطائرة وهم عائدون ببطولة جديدة ويجلسون معه كأبناء مع والدهم - على حد تعبير اللاعبين- بل إنه يتصل بهم طوال الوقت أثناء البطولات الإفريقية وقبل المباريات المؤثرة فى تصفيات كأس العالم لدرجة جعلت تليفونات السيد الرئيس للاعبين وجهازهم الفنى تتصدر وسائل الإعلام على مختلف توجهاتها، بل إنه حرص على الذهاب بنفسه إلى التدريبات والاجتماع مع اللاعبين قبل المباريات لرفع روحهم المعنوية، حتى إن

النقاد الرياضيين ومذيعي البرامج الرياضية أصبحوا ينسبون إلى الرئيس البطولات ويعتبرون مساندته السبب الأول فى الفوز والأكثر من ذلك أن يقولون إن الرئيس وصل إلى كأس العالم وحصل على خمس بطولات قارية، وهو ما لم يحدث فى العالم مع أى رئيس آخر.

هذه الرؤية تعتبر كارثة قومية وتسيء إلى الرئيس أكثر مما تنفعه لأنه إذا كان الرئيس قد فاز بخمس بطولات فمعنى ذلك أيضاً أنه خسر تسع بطولات أقيمت في عهده ولم يستطع الصعود إلى كأس العالم سوى مرة واحدة خلال ٢٨ عاما، هذا بجانب أن هذا الكلام يعنى أن اللاعبين والمدربين الذين أنفقت عليهم مصر - أكثر مما أنفقته على البحث العلمى - لا قيمة لهم ولا يستحقون ما حصلوا عليه من أموال لأنهم مجرد أداة "تنفيذية" لتوجيهات السيد الرئيس، وبالتالى يكفى أن يحصلوا على رواتب عادية مثل أى موظف حكومة درجة خامسة ينفذ تعليمات رئيسه !

لكن يحسب للرئيس مبارك أنه كان أكثر حاكم لمصر عرف أهمية كرة القدم وتأثيرها فى الشعوب، فرغم أنه جاء خلفاً للرئيس أنور السادات الذى لم تكن الكرة داخل دائرة اهتماماته، فإنه كان من اللحظة الأولى يعرف بريقها وسطوتها على الشعوب بصفة عامة، وعلى الشعب المصرى بصفة خاصة، فاستثمر هذا البريق لصالح حكمه، خاصة أنه رياضى قبل أن يذهب إلى قصر العروبة؛ فهو يمارس رياضة الاسكواش اللعبة الوحيدة التى لدينا فيها أكثر من بطل عالمى، ومازالت ممارستها مقصورة على طبقة بعينها لا تنتمى إليها أغلب فئات الشعب المصرى.

لذلك قرر الرئيس أن تكون لديه لعبتان واحدة نخبوية ليمارسها وهى "الاسكواش" والثانية شعبية ليشاهدها وهى "كرة القدم" فحرص

منذ بداية حكمه على الذهاب لمشاهدة المباريات المهمة فى الاستاد، فحضر أول مباراة في الملعب في ديسمبر ١٩٨٢، وهى مباراة نهائى بطولة إفريقيا للأندية أبطال الكؤوس بين المقاولون العرب وباور ديناموز الزامبى، وبعد تلك المباراة حرص الرئيس على حضور عدد كبير من المباريات لمنتخب مصر، والأهلي والزمالك فى البطولات الأفريقية والعربية، وكان من بينها كأس الأمم الأفريقية عام ١٩٨٦، التى حصل المنتخب على لقبها بعد تغلبه على الكاميرون ثم مباراة الكأس الأفرو آسيوية عام ١٩٨٩، التى فاز بها الأهلى بعد تغلبه على فريق " يوميورى " اليابانى، ثم نهائى بطولة الأندية العربية التى فاز بها الأهلى بعد تغلبه على فريق الشباب السعودى.

وبجانب هذا التقى لاعبى منتخب مصر بعد تأهله لنهائيات دورة الألعاب الأوليمبية فى لوس أنجلوس ١٩٨٤، ونفس الشيء مع المنتخب الذى تأهل إلى كأس العالم ١٩٩٠، كما استقبل أعضاء منتخب مصر فى مطار القاهرة لدى عودتهم من بوركينا فاسو ١٩٩٨ بعد فوزهم ببطولة كأس الأمم الأفريقية، وعاد ليستقبلهم فى مقر الرئاسة مرة أخرى ليمنحهم أوسمة الجمهورية تقديراً لإنجازهم الكبير.

لم يكتف الرئيس مبارك بالذهاب إلى المباريات لكنه ذهب للأندية الشعبية بعد حصدها البطولات الكبيرة، ففى عام ١٩٨٤ قام الرئيس مبارك بزيارة مقر نادى الزمالك، والتقى مسئولى النادى ولاعبيه وجهاز الفريق الفنى بعد فوز فريق الزمالك بكأس الاندية الأفريقية أبطال الدورى وصارحهم بأسباب اهتمامه بكرة القدم قائلاً: إن ارتفاع مستوى الفرق

المصرية وإحرازها البطولات الدولية يعطى المواطن المصرى دفعة للأمام، ويعتبرها انتصاراً له.

كلام الرئيس للاعبى الزمالك يؤكد أنه وضع يده من البداية على مفتاح الدخول إلى الجمهور المصرى دون حواجز، لدرجة جعلت الناس بعد تلك الزيارة يظنون أنه يشجع الزمالك منذ كان طيارا فى القوات الجوية، لكن الرئيس استمر فى زياراته للأندية فذهب للنادى الأهلى فى سبتمبر ١٩٨٧ لتهنئة فريقه لصعوده للمباراة النهائية لبطولة أفريقيا للأندية أبطال الكؤوس، التى فاز بها بالفعل فى هذا الموسم، وقال الرئيس للاعبين: "أنا جاى أقعد معاكم قعدة صغيرة أهنئكم فيها على مجهودكم الكبير، وفوزكم المشرف على فريق أفريكا سبور، وصعودكم للمباراة النهائية. وأضاف: أنتم فى الحقيقة تعبتم أعصابنا وأعصاب الجماهير، وأنا كنت أتابع المباراة من أول دقيقة، وكنت أتأثر بكل هجمة خطيرة، وبالرغم من توتر الأعصاب كنت حاسس أنكم هاتكسبوا زى عوايدكم فى مباريات كثيرة من قبل، وفى الحقيقة كنت أشاهد المباراة وأنا متأثر جداً لهزيمة الزمالك الثقيلة أمام كوتوكو، وجاء فوزكم ليخفف من وقع الهزيمة ".

هنا كان السؤال الذى يطرحه جمهور كرة القدم فى كل مكان "هل الرئيس أهلاوى أم زملكاوى ؟ "والجواب هو ما قاله الرئيس مبارك بنفسه فى إحدى حواراته: أنا لاأهلاوى ولا زملكاوى ولاترساناوى ولا محلاوى، أنا أحب الفريق الذى يلعب الكرة برجولة، وأشجع الفريق الذى يؤدى كل لاعب فيه بكل إخلاص وجدية حتى لو خسر لأن الرياضة مكسب وخسارة، ولكن المباريات الدولية حاجة تانية خالص غير الدورى والكأس، فعندما يلعب الأهلى أو الزمالك أو أى ناد آخر

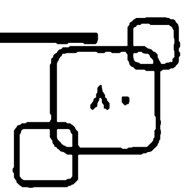
مباراة دولية فهو يلعب بإسم مصر والفوز هنا لمصر أولاً.

من هنا عرفت مصر عبارة "مصر فازت" وليس "الفريق المصرى فاز".. تلك العبارة التى أطلقها الرئيس تعليقاً على فوز فريق كرة قدم مصرى ببطولة إفريقية، وتعكس أنه قرأ تاريخ الرياضة ويدرك ما حدث فى عام ١٩٥٤ عندما كانت ألمانيا تعيش أسوأ فترة فى تاريخها بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية و قتل عشرات الآلاف من جنودها وإصابة بقية الجنود بإصابات بالغة، مع إصابة الشعب الألمانى كله بخيبة الأمل وشعورهم بأن ألمانيا لن تقوم لها قائمة مرة أخرى، لكن شاء القدر أن تبدأ فى هذا التوقيت أول بطولة كأس عالم يذيعها التليفزيون الألمانى ويشاهدها الملايين على الهواء، وبطبيعة الحال فى البداية لم تكن الناس مهتمة خاصة بعد أول مباراة للمنتخب الألمانى التى خسر فيها من المنتخب المجرى بثمانية أهداف مقابل ثلاثة فقط للألمان مما تسبب فى تعميق جراح الجماهير، لكن فى المباراة التالية استطاعت ألمانيا وبصعوبة أن تفوز على يوغوسلافيا، ثم فازت على النمسا لتقابل المجر – فى قمة مجدها– فى نهائى كأس العالم، وبعد ثمانى دقائق فقط من بداية المباراة أصبحت النتيجة تقدم المجر بهدفين لكن استطاع الألمان استعادة توازنهم وأحرزوا هدفين قبل نهاية الشوط الأول من المباراة، وفى الشوط الثانى نجحت ألمانيا – الغربية فى ذلك الوقت– فى إحراز الهدف الثالث والفوز للمرة الأولى فى تاريخها بكأس العالم لتخرج من حزنها الكبير على الهزيمة فى الحرب عن طريق فوزها فى كرة القدم؛ لتعود مرة أخرى الثقة للشعب الألمانى ليتقدم فى كل المجالات فيما بعد.

قصة فوز المنتخب الألماني بكأس العالم تؤكد أن الفوز في كرة القدم يمكن أن يغير مصير شعب وأن سحر كرة القدم أكبر من كل سحرة الدنيا، والرئيس حسني مبارك يعلم ذلك جيداً ويهتم بكرة القدم، وهذا الاهتمام انعكس على أبنائه، خاصة ابنه الأكبر السيد علاء مبارك الذي يعتبره الجمهور المصري مشجع كرة قدم حقيقياً يفهم في قواعدها ويحرص على مشاهدة مبارياتها في الملعب و يشجع أكثر الأندية فناً كروياً وهو "الإسماعيلي" النادي الذي تنحصر عنه الأضواء بل إنه يذهب لمباريات هذا الفريق ويجلس بعيداً عن الكاميرات حتى يستمتع بجماليات كرة القدم. من هنا بدأت الجماهير تحبه وتشعر أن كلامه يخرج من القلب وليس من "القصر" خاصة أنه يتعامل كأي مشجع يحب الكرة ويفهم قواعدها ويذهب لمساندة المنتخب في المباريات المهمة بعيداً عن الحسابات السياسية.

لكن أكثر الأشياء التي جعلت الناس تحبه هو ما فعله بعد مباراة منتخب الجزائر المؤهلة لنهائيات كأس العالم ٢٠١٠ ، حيث هاجم الطريقة التي تتعامل بها مصر مع الجزائر وهاجم السفير الجزائري في القاهرة و سخر من وزير الشباب و لم تشغله الحسابات السياسية المعقدة بل إنه خرج على الهواء في البرامج التليفزيونية وقال "أنا بتكلم بصفة شخصية كمواطن مصري إحنا لازم يبقى لنا وقفة هما مش ماسكين علينا ذلة ومش ماسكين علينا حاجة عشان لما يضربونا على دماغنا نسكت.. اللي هيقرب من كرامتي هديه على دماغه".

كلام "علاء" رغم أنه جانبه بعض الصواب لكن تأثيره كان طاغياً على الشعب المصري لدرجة جعلت الناس تهتف بإسمه وتشيد بتصريحاته التي



عبرت عن مشاعر ملايين المصريين الذين يعتقدون أن كرة القدم هى حياتهم وأن خسارة مباراة أمام فريق عربى تعتبر نكسة وفقدانا للكرامة !

علاء مبارك كان بمثابة "الباب" الذى دخل منه أخوه السيد جمال مبارك – أمين سياسات الحزب الوطنى – إلى ملعب كرة القدم وأصبح وجدوه فى المباريات المهمة مثل "ختم النسر على الأوراق الرسمية" لكن الناس لم تنفعل معه – مثلما انفعلت مع أخيه – ربما لأنه يذهب إلى المباريات مصحوباً بعدد كبير من السادة الوزراء والمسئولين، مما جعل الناس تشعر بأن علاقته بالكرة هدفها سياسى فى المقام الأول هذا بجانب أن ظهوره في ملاعب كرة القدم بدأ مع انتصارات المنتخب القومى فى كأس الأمم عام ٢٠٠٦، و التى قفز عليها السياسيون دون تفكير، وتصدر نجل الرئيس المشهد – وتحديدا فى بطولة إفريقيا عام ٢٠١٠– وهو ممسك بعلم مصر في يده ويهتف "زى ما قال الريس منتخب مصر كويس"، فى الوقت الذى رفض فيه محمد أبوتريكة – أهم لاعبى منتخب مصر، وأكثرهم شعبية – أن يظهر أمام الكاميرات حتى لا يسطو على فرحة زملائه وهو لم يشترك معهم فى إحراز البطولة!

الأهلى فوق الجميع

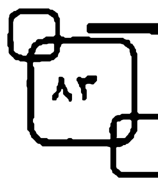
عندما أطلق الزعيم الوطني سعد زغلول شعاره الشهير " الحق فوق القوة.. والأمة فوق الحكومة" لم يخطر بباله أن النادى الرياضى الذى شارك فى تأسيسه عام ١٩٠٧ سيصبح فى يوم من الأيام "فوق الجميع".. قولا وفعلا وعملا.

قولا.. باعتباره أكثر أندية مصر والعرب وإفريقيا من حيث عدد البطولات المحلية والإفريقية.

فعلا.. لأن تأثيره وشعبيته فى الشارع تفوق كل الأحزاب السياسية والجماعات المحظورة وغير المحظورة.

عملا.. عندما أصبحت ميزانيته أكبر من ميزانية البحث العلمى فى مصر.

نعم الأهلى أصبح فوق الجميع، رغم أنف الجميع، سواء كانوا سياسيين أو أدباء أو فنانين، فشعبيته تفوق الحكومة والمعارضة، وأهميته



عند الناس تتجاوز أهمية كل أجهزة الدولة التى تحكمها جماهير كرة القدم، لذلك لم يكن غريبا أن نخسر فى الملاعب شعوباً وقفت بجوارنا فى حروبنا ضد الاستعمار والصهاينة، ونترك الحروب العلمية والثقافية - لا أقول السياسية - ونتفرغ لحروب كرة القدم، ليصبح فوز المنتخب ببطولة استرداداً لكرامة مصر، و تأثير رئيس النادى الأهلى أقوى من تأثير كل السادة الوزراء مجتمعين.

الأهلى فوق الجميع هذا الشعار أطلقه لأول مرة الكابتن مختار التتش وكان يقصد به أن مصلحة النادى فوق كل شيء وأن الأهلى فوق لاعبيه وأعضائه، ثم جاء بعده الكابتن صالح سليم ليطلق نفس الشعار أثناء حملته الانتخابية كشعار لقائمته، وذلك فى انتخابات النادى الأهلى عام ١٩٩٢، واستخدم المايسترو الشعار ليدلل على أن الأهلى يعلو ويسمو فوق كل الشبهات وأن مصلحة الأهلى أهم من فوز مرشح على حساب آخر، وكان منافسه فى تلك الانتخابات هو عبده صالح الوحش، وبالفعل نجحت قائمة صالح فى هذه الانتخابات وظل هذا الشعار مقترناً باسم صالح سليم الذى بقى رئيساً للنادى حتى وفاته فى مايو ٢٠٠٢.

هذا الشعار مع مرورالوقت تطور بشكل مذهل، فجماهير الأهلى أصبحت تستخدمه كنوع من الاستعلاء على الفرق المنافسة فى مصر ثم أصبحت تطلقه فى وجه أى شخص وفى أى مناسبة ليشبه شعار "ألمانيا فوق الجميع" هذا الشعار السياسى الذى ابتكره "جوبلز" وزير إعلام الزعيم النازى هتلر، وكان يقصد أنها فوق كل الشعوب باعتبارهم أفضل أجناس الأرض، وهو ما تحقق فى مصر مع شعار الأهلى فوق الجميع لأنه لا يجد من ينافسه فى القوة والشعبية والتأثير داخل الرياضة أو خارجها

سوى الزمالك ولكن من بعيد.

لذلك إذا أردنا ألا يظل الأهلي فوق الجميع طويلا فعلينا أن نبحث عن "الزمالك السياسي" لأننا بمقارنة الحياة السياسية بالحياة الرياضية نكتشف أن بمصر الآن حزبا واحدا مسيطرا هو الحزب الوطني، أو إن شئت سمه النادي الأهلي، ولكن ما تفتقده الحياة السياسية المصرية هو الحزب المنافس، تفتقد الزمالك السياسي.

لو كانت هناك رغبة لمنافسة حزبية حقيقية في مصر، فإنني أقترح - وليس من باب السخف ولكنني جاد كل الجد - أن تقرر الدولة تحويل نادي الزمالك والأهلي إلى حزبين سياسيين، وأؤكد للجميع أن هذا سيؤدي بمصر لأن يكون لديها حزبان كبيران مثل حزبي الجمهوريين والديمقراطيين في أمريكا، أو العمال والمحافظين في بريطانيا. وتحويل الأهلي والزمالك إلى حزبين أمر جوهري بالنسبة للحياة السياسية في مصر. هذا التحول قادر على نقل عالم السياسة من عمل سري مبني على علاقات الدم والقبلية والقرابة، أو الارتباط بالأجهزة الأمنية المختلفة، إلى عالم الحماس الجماهيري الفعلي المبني على ولاء وحب وارتباط، يتقبل فيه العضو المنتمي والمرشح الهزيمة والنصر بناء على منافسة فكرية.

وبذلك يتحول المشهد السياسي المصري من مشهد الأهلي ضد مجموعة الأندية الصغيرة، إلى مشهد سياسي حقيقي تسود فيه «اللعبة الحلوة» لفريقين لهما مشجعون من أسوان جنوباً حتى الإسكندرية شمالاً.

أما الحال الذي نراه الآن، وهو وجود حزب واحد مسيطر، ومجموعة أحزاب صغيرة مناوشة يمكن إسكاتها، لذلك الزمالك السياسي ضرورة

قصوى بالنسبة لاستمرارية النظام السياسي المصري وإخراج المجتمع المصري، من عالم يمسك فيه مدعي التدين بتلابيب السياسة إلى عالم المنافسة الفكرية، إذا ما تحول الزمالك والأهلي إلى حزبين، ستجد أن حركة مثل جماعة الإخوان، التي تسيطر على الحياة السياسية المصرية من خلال العمل السري المنظم، تصبح في أحسن حالاتها كفريق «غزل المحلة» أما الجماعات الإسلامية الأخرى، فهي تصبح ضمن فرق الدرجة الثالثة أو أندية الأقاليم، وسيخسر الإسلاميون كل مبارياتهم، فقط لأنهم سيلعبون بطريقة غير قانونية، فتكثر "فاولاتهم" وكذلك ستحتسب عليهم كثير من ركلات الجزاء، لأن الحكم لا يسمح بالعنف كبديل عن اللعب القانوني، والجمهور ربما يلقي عليهم ببقايا البرتقال، لأن الجمهور أيضاً يفضل اللعبة الحلوة ويرفض العنف.

الزمالك السياسي هو الحل إن كانت مصر بالفعل تريد حلاً !(١) وأعتقد أن بوادر الزمالك السياسى تبدو فى الأفق ليس عن طريق تحويل الأهلى والزمالك إلى حزبين، ولكن عن طريق طرح اسم الدكتور محمد البرادعى – مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية السابق – على الساحة السياسية المصرية كمرشح محتمل للرئاسة، وقيامه بإعلان رؤيته للأوضاع الراهنة وما يجب أن يطرأ من تعديلات دستورية، وطرحه للحلول الممكنة، وإلمامه بالإحصائيات الدولية عن حال التعليم والصحة والعشوائيات فى مصر رغم ابتعاده عنها لسنوات طويلة بحكم عمله.

البرادعى حرك المياه الراكدة وجعل الناس تشعر أن التغيير قادم، ربما

---

(١) مامون فندى : الشرق الأوسط، فى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣

لأنه يؤمن بأهمية الشعب ويقدر دور الشباب مثل الزعيم سعد زغلول، وربما لأنه لا يترك مناسبة إلا ويتحدث عن الفقراء وحقوقهم المهدرة مثل جمال عبد الناصر، وربما أيضا لأن ملامحه تشبه الزعيم الهندى غاندى، وأن الناس فاض بها وتنتظر لحظة التغيير، فبمجرد طرح اسمه بخبراته الكبيرة التى تجاوزت الأربعين عاما منها اثنا عشر عاماً مديراً لوكالة ترأس ١٥٠ دولة فى العالم، هذا بجانب سمعته التى لا يستطيع أن يشكك فيها أكثر أعدائه حماقة، تفاعلت معه كل فئات الشعب وخرج مئات الأشخاص لاستقباله فى مطار القاهرة ومطالبته بالترشح لرئاسة الجمهورية رغم أنه ليس خطيباً بارعاً، لكنه حل - وإن كان مؤقتاً- للمشاكل المزمنة فى السياسة فى مصر.

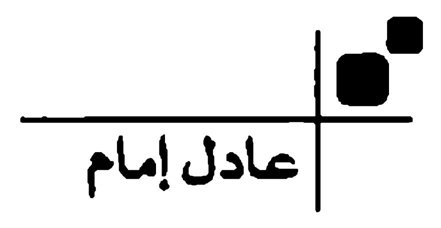
حتى لا نفاجأ بأن يأتى اليوم الذى يتغير فيه اسم "مصر"، ليصبح "م ص ر" على رأى عمنا جاهين الذى يقول فى ملحمته "على اسم مصر":

قطعوا الأغانى وطارت نشرت الأخبار
دارت على كل دار فى الكوكب الدوار
يا حاضرين اعلموا الغايبين بإنه فى مصر
اتغير الاسم منذ الآن فأصبح مصر
ضحك التاريخ ضحكته المشهور بها واندار
ودخل مناقشة مع الجغرافيا عما صار
هل نعترف بالبيان اللى أذيع العصر
أم ننتظر مصر تطرد إسرائيل بالقسر
وساعتها يحصل بكل جدارة يوم النصر
على اسم مصر

الفصل الثالث

لقد أصبح تأليف الأغانى هذه الأيام مهنة الطعمجية
والميكانيكية وسواقين الميكروباص

محمود السعدنى



عادل إمام

تظل العبقرية لغزاً غامضاً يحير الإنسان.. لا أحد يعرف حدودها ويضع يده على مداها، فكل صيغ المبالغة الموجودة فى اللغة العربية لا تعطى العبقرى حقه، فهى معجزة أشبه بمعجزة بناء الأهرامات، كلما مر عليها الزمن كشف لنا جزءا من صلابتها؛ لأن الموهبة وحدها لا تكفى، واستثمار الموهبة لا يقل أهمية عن الموهبة ذاتها.

قد يفسرها المنجمون بأنها الميلاد فى ظل نجم سعيد، أو فى لحظة التقاء متفردة وتوافق بين النجوم، وقد يفسرها المؤرخون بأنها التقاء الموهبة الفردية الخاصة باللحظة التاريخية المناسبة.. لكنها رغم ذلك ومهما توفر للمرء على دراستها وتحليلها، تظل تبدو كطاقة خفية تفصح عن وجودها فى تجليات عديدة دون أن يتمكن الإنسان من إدراك سرها أو الإلمام بمجالها كاملاً أو تتبع منابعها وأصولها.

وإلى هذه السلالة العريقة ينتمى عادل إمام؛ فقد حباه الله بطاقة نفسية رهيبة تجعل وجهه يتلون من لحظة إلى أخرى بسرعة البرق، ودون جهد ملموس، فتخال أن الرجل يحمل فوق عظام وجهه العريض المنبسط عدداً لا نهائياً من الأقنعة وأن جلده يشف بين لحظة وأخرى ليكشفها فى تتابعها وتواليها، ولاشك أن طاقته النفسية الفذة لا تزال تمتلك مخزوناً هائلاً من أقنعة البشرية سوف تتجلى من خلالها الواحد تلو الآخر.(١)

لذلك أعتقد أنه لو أن هناك جائزة تمنح لأذكى فنان فى تاريخ مصر، لحصل عليها عادل إمام دون منازع، فلا أحد يصدق أن "الباشكاتب" فى مسرحية "أنا وهو وهى " التى كان بطلها فؤاد المهندس يمكن أن يصبح الزعيم فى يوم من الأيام، لكن عادل إمام كان أذكى من الجميع دائما، استطاع أن يصعد درجات السلم الفنى درجة تلو الأخرى ليجلس منفرداً على القمة لأكثر من ٢٠ عاماً لم ينافسه فيها سوى الراحل أحمد زكى الذى رغم موهبته الطاغية فإن ذكاء عادل إمام كان أطغى.

أكثر شىء يدل على ذكاء عادل إمام وقدرته على "لعب" كل الأدوار، هو حكايته مع كرة القدم، ففى منتصف السبعينيات بعد أن قام بعمل مسرحية مدرسة المشاغبين سأله الناقد الرياضى نجيب المستكاوى عن النادى الذى يشجعه فأجاب: "أنا زملكاوى بشدة، لم أفكر فى أسباب حبى للزمالك ، فقد وجدت نفسى من ثانوى أحب الزمالك، ربما لأنه أقوى الأندية فى الستينيات، ولأننى أكره "العنطزة" وقد اعجبتنى فى الزمالك البساطة". لكن عندما تم توجيه إليه نفس السؤال بعد أن أصبح

(١) نهاد صليحة : فى الفن والادب والحياة، الهيئة العامة للكتاب، ص ١٨٩

الزعيم في أواخر التسعينيات، أجاب: " من شروط حصولك على الجنسية المصرية ثلاثة أشياء الأول أن تحب جمال عبد الناصر والثانى أن تشاهد أفلام عادل إمام والثالث أن تشجع النادى الأهلى "!

هذا هو عادل إمام عبقرى التمثيل الذى يجيد أداء كل الأدوار، فتجده في مشهد يعشق جمال عبد الناصر، وفي مشهد آخر يساند جمال مبارك ويتمنى وصوله للحكم.. تجده زملكاوياً عندما يكون الزمالك على القمة، وعندما يسقط تجده أكبر مشجعى الأهلى فى الوطن العربى ! لكن الحقيقة أن عادل إمام لا يشجع سوى عادل إمام ولا يشاهد إلا أفلامه وهذا سر نجاحه واستمراره فى كل العصور.

لكن الفنانين فى الستينيات كانت كرة القدم لا تنافسهم، بل كانت قيمة وشهرة الفنان تفوق كل لاعبى المنتخب القومى، لذلك كان الفنان يشجع النادى الذى يحبه دون أى حسابات جماهيرية، فسيدة الغناء العربى أم كلثوم كانت من عشاق كرة القدم وكانت فى وقت من الأوقات تحضر كل مباريات الكرة فى النادى الأهلى، بل إنها وقفت حكماً فى بعض المباريات وفى بعض المباريات الأخرى وقفت حارس مرمى وكان الذين يلعبون معها فى ذلك الوقت الأساتذة محمد التابعى وكامل الشناوى ومأمون الشناوى واحمد الألفى عطية، والغريب أن هذه المعلومات لم يعرفها أحد إلا بعد أن رحلت أم كلثوم بسنوات عن طريق الأستاذ مصطفى أمين أقرب أصدقائها.

أما فاتن حمامة سيدة الشاشة لا أهلاوية ولا زملكاوية ولاتشجع أى ناد لأنها لا تفهم فى كرة القدم ولا تتابع مبارياتها ولا تعرف نجومها فى الداخل أو فى الخارج وإن سمعت بعض أسمائهم تتردد ولكنها تقدر

الرياضة بصفة عامة كوسيلة للتربية والترفيه وبناء الشعوب.

لكن عماد حمدى كان "ترسناوى" بكل جوارحه، ليس فقط لأن الشاذلى ومصطفى رياض فى نظره أحسن ثنائى كروى، وليس لأنه فريق كبير (دنيا!!!!) أو مظلوم لقلة جماهيره، وإنما لأنه تربطه بالترسانة علاقات عائلية قديمة. أما سعاد حسنى فعندما سألوها عن النادى الذى تشجعه فقالت: أنا أهلاوية بالسليقة، أنا نشأت لأجد نفسى أهلاوية، ولا أعرف السبب لكننى عموما أحب الرياضة وكرة القدم وأشاهد مبارياتها. وعلى عكس "سعاد"كانت "ماجدة" زملكاوية بالوراثة فقد ضمها إلى الزمالك شقيقها لاعب الزمالك السابق مصطفى الصباحى.(١)

لا تجد فناناً كان متعصبا لناد بشدة، ويسير خلفه فى المباريات مثلما يحدث هذه الأيام، ولا تجد فى أرشيف التليفزيون إلا مشهداً واحداً يجمع الفنانين فى إحدى المباريات، وحتى الأفلام التى كان يقوم بها الفنانون عن كرة القدم كانت تتم فى إطار اجتماعى أو كوميدى، باعتبار الكرة ظاهرة اجتماعية وليس سعياً لكسب الفنان شعبية من كرة القدم؛ فالفنان نور الشريف عندما قدم فيلم "غريب فى بيتى" كان الفيلم مع العملاقة سعاد حسنى، وكان الفيلم يناقش رؤية الناس للاعب الكرة ومشاكل اللاعب الذى يأتى من الأقاليم.. يترك - فى نهاية المطاف - الشهرة والنجومية فى نادى الزمالك من أجل أن يلعب فى إحدى أندية الشركات ليقدم الفيلم قصة اجتماعية بطلها لاعب كرة، لكن الهدف لم يكن كسب شعبية على حساب كرة القدم.

---

(١) نجيب المستكاوى : الناس والكورة، روزاليوسف، ص ٥٢

والطريف أن فيلم غريب فى بيتى رغم أنه تم إنتاجه عام ١٩٨٢، فإن مشاكل نادى الزمالك التى ناقشها مازالت موجودة كما هى، لدرجة جعلت الناس تقول إن هذه القصة حقيقية وبطلها هو " حسن شحاتة " لأنه كان يلعب فى كفر الدوار قبل أن يأتى إلى نادى الزمالك، وأيضا ترك الزمالك ليلعب فى أندية أخرى، لكنها كانت فى الخليج، وليس أندية الشركات التى أشار إليها الفيلم باعتبارها أندية الدرجة الثانية التى تجذب اللاعبين عن طريق التعيين فيها، فهذه الأندية أصبحت بمرور الوقت تنافس الزمالك، بل تتفوق عليه ربما بفضل "شحاتة أبو كف"!

المنافس التقليدى لفيلم "غريب فى بيتى " الشهير بفيلم "شحاتة أبوكف" هو فيلم " رجل فقد عقله " بطولة عادل إمام وفريد شوقى وسهير رمزى وإكرامى الذى تم إنتاجه عام ١٩٨٠. ويناقش الفيلم حكاية الأب الذى فقد عقله وترك بيته وزوجته من أجل إحدى الفتيات وله ولدان يلعبان فى النادى الأهلى.

أعتقد أن فيلمى عادل إمام ونور الشريف إذا كانا استفادا من الكرة فقد أفادا الكرة أكثر وخلدا رموزها بل ونتائجها، فلا ننسى مباراة الأهلى والزمالك الشهيرة التى انتهت بفوز الأهلى ٤\٢ بعد أن كان الزمالك فائزا بهدفين مقابل هدف واحد للأهلى إلا بسبب فيلم "رجل فقد عقله ".

لكن أكثر فيلم تناول كواليس عالم كرة القدم - فى تلك الفترة - فى إطار كوميدى هو "٤-٢-٤" بطولة سمير غانم و يونس شلبي وعدوية و نجاح الموجى ولبلبة، هذا الفيلم الذى يجعلك "تموت من الضحك" كان أكثر الأفلام تنبؤا بما حدث بعد ذلك، فرغم أن الفيلم تم إنتاجه

عام ١٩٨٣، فإنه تناول ظاهرة حب الشعب المصري الزائد لكرة القدم وهدايا المشجعين المبالغ فيها للاعبين، وتطرق إلى جشع اللاعبين ومساوماتهم للأندية بعد شهرتهم، وعالم سماسرة كرة القدم عن طريق شخصية "مصطفى الحلواني" الذي يقوم بدوره سمير غانم.

نجوم الشباك

شباك التذاكر له كلمته.. وبريقه.. وسطوته.. ونفوذه.. ولا يمكن غض الطرف عنه، فهو يرفع سعر النجم إلى عنان السماء، وأحيانا يخسف به الأرض، فالفنان يدرك أهميته وينتظر تقييمه..

من هنا دخل نجوم كرة القدم إلى الساحة الفنية عبر شباك التذاكر باعتبارهم "نجوم شباك" يرفعون إيرادات الأفلام، بل استطاع المخرجون توظيفهم بشكل يناسب شخصياتهم الحقيقية، فعندما ترى المايسترو صالح سليم – أشهر نجم كرة وقف أمام الكاميرات – تظن أنه لا يمثل فهو يقوم بأداء دور قريب إلى شخصيته التى يعرفها الناس، واستغل ذلك باقتدار المخرج الأهلاوى الراحل عز الدين ذو الفقار الذى أراد ان يستفيد من نجومية ووسامة صالح سليم وجماهيريته فجعله يقف أمام عمالقة التمثيل عندما أسند إليه بطولة فيلم "الشموع السوداء" أمام نجاة وفؤاد المهندس وأمينة رزق حتى إنه بعد نجاحه فى هذا الفيلم أصبح

مطلباً جماهيرياً يتسابق عليه المخرجون فقام ببطولة فيلمى "السبع بنات" و"الباب المفتوح " إلا إنه بعد فترة اعتذر عن الاشتراك فى أفلام أخرى قائلاً: " لست فتي السينما ولا هي عملي ولا هوايتي ولكنها كانت مجرد نزوة شباب". وأضاف: لكن لولا السينما ودخل خاص لكان كابتن الأهلي فى الشارع.. والشيء الذى يحز فى نفسى أن الاهتمام البالغ باللاعب يكون فقط ساعة المباريات الدولية، أما بعدها فلا أحد يهتم بأمره أو يحاول أن يتعرف على مشاكله أو يحلها.(١)

كلام صالح سليم يعكس رؤية عدد كبير من لاعبى الكرة، الذين قاموا بتمثيل أدوار سواء كانت بطولة أو حتى ثانوية، فحارس مرمى الأهلي عادل هيكل الذى قام بالاشتراك فى فيلم "إشاعة حب" يقول عن تجربته السينمائية: دخولى عالم السينما كان لاستغلال نجوميتى فى جذب الجمهور نحو شباك التذاكر وهو ماحدث بالفعل فى فيلم إشاعة حب، فبعض المخرجين حاولوا استخدامى بأى شكل فقمت بعمل فيلم كانت مشاهدى فيه يجب أن تحذف لأن وجودى فيها لن يؤثر فى شيء سوى أننى "عادل هيكل حارس منتخب مصر ".

ما حدث مع عادل هيكل تكرر مع نجوم كثيرين منهم جمال عبد الحميد - كابتن مصر ونادى الزمالك السابق - الذى تعد تجربته أسوأ تجربة للاعب كرة قدم ربما لأنه كان يلعب لنادى الزمالك المشهود له "بنحسه" ليثبت أن لاعبى هذا النادى "قليلو البخت " حتى بعيدا عن كرة القدم، فعندما قرر جمال عبد الحميد مهاجم الفريق بعد العودة من

---

(١) عصام عبد الحافظ : أسرار مشاهير الرياضة، ص ٨٨

كأس العالم أن يستثمر نجوميته فى الفن وقع حظه مع الراقصة فيفى عبده ليقف أمامها فى دور البطولة في فيلم "الصاغة "وهو الفيلم الذى سحب من رصيد هداف الزمالك بدلاً من أن يضيف إليه، وجعله يترك الساحة الفنية بعد فيلم واحد و مسرحية واحدة فقط لكن ربما يكون السبب أنه لم يحصل على المال الذى يكفيه من كرة القدم فأراد أن يؤمن مستقبله ويستغل نجوميته فلا يعانى فى كبره مثلما عانى فى بداية حياته وكان يضطر للسير على قدميه من مركز شباب الجزيرة إلى منزله بعين الصيرة، لأنه لم يكن يملك ثمن تذكرة المواصلات.

لكن تبقى تجربة وحيدة للاعبى كرة القدم الذين اتجهوا للتمثيل باقية كشاهد على أن اللاعب يمكن أن يكون ممثلاً جيداً، هى تجربة حارس مرمى مصر و الأهلى "إكرامى "الذى رفض أن يترك مرماه خاليا بعدما تركه وذهب لعالم السينما فقرر أن يقوم بدور الحارس فى الأفلام التى اشترك فيها بالتمثيل وهى أفلام "يارب ولد " مع فريد شوقى وسمير غانم، وكرر التجربة مع وحش الشاشة وعادل إمام فى فيلم " رجل فقد عقله " ليكون لنفسه رصيداً إضافياً عند جمهور السينما بعد أن امتلك قلوب جماهير الساحرة المستديرة، لكنه لم يستمر فى السينما بعد أن ابتعد لفترة طويلة عن الملاعب وبالتالى قل تأثيره على شباك التذاكر.

زمان كان اللاعب والفنان يتنازعان على قلوب الجماهير من المحيط إلى الخليج وكان اللاعب يدرك أن قيمة الفنان أبقى حتى لو كانت نجومية لاعب الكرة مؤثرة فى إيرادات الأفلام وظلت العلاقة هكذا، الفنان يبحث عن لاعب الكرة ليضيف المزيد من محبيه، واللاعب يضيف إلى رصيده تجربة أخرى، ويكتشف قدراته خارج المستطيل الأخضر لكن

بعد فترة بدأت الموازين تختل، فالفنان بعد أن كان يستخدم لاعب الكرة في مساحة محدودة، ويرى أنه يحقق للاعب أمنية بالوقوف أمامه في السينما، أصبح أقصى طموحات عدد كبير من الفنانين الوقوف بجوار اللاعبين في صوزة فوتوغرافية.

نعم الفنان أصبح يتمنى أن يقف بجوار لاعب الكرة ويدعى صداقته ويلهث خلفه عبر القنوات الفضائية ليتحدث معه عبر شاشة التليفزيون ويحرص على تهنئته، بل ويذهب لحضور المباريات المهمة في الاستاد سواء كانت في مصر أم في الخارج، خاصة بعد أن أصبحت كرة القدم المتنفس الوحيد للمصريين، والشيء الوحيد الذي يجعلهم يخرجون من منازلهم، ويجعلهم يرقصون في الشوارع، تلك الظاهرة التي التفت إليها بعض الفنانين "المتقاعدين" لتذكير الناس بأنفسهم لدرجة أن عدداً كبيراً من الفنانين أصبحوا يذهبون لمشاهدة المباريات أكثر بكثير من ذهابهم للاستوديوهات، وانضم إليهم أصحاب الشهرة والنجومية باعتبارها فرصة لزيادة النجم لشعبيته، والدليل على ذلك أن عادل إمام الذي كان يظل سنوات لا يظهر إلا عبر أفلامه أصبح يعلق على أحداث المباريات، ويدلي برأيه عن طريق القنوات الرياضية مع كل بطولة أو حدث مهم.

ونفس الشيء تفعله الفنانة إلهام شاهين التي أصبح صوتها -عبر التليفون- ضيفاً دائماً على البرامج الرياضية، وكأنها خبيرة في تحليل المباريات، فبمجرد انتهاء مباراة منتخب مصر والجزائر - في كاس الأمم الإفريقية - بفوز المنتخب القومي بأربعة أهداف للاشيء، خرجت في إحدى البرامج الرياضية لتقول بعد نجاح فيلم "واحد صفر" الذي جاءت فكرته عقب مباراة مصر والكاميرون في نهائي كأس إفريقيا، أدرس الآن

عمل فيلم اسمه "أربعة صفر" بمناسبة فوز مصر على الجزائر (وبعد كده يقولوا الشعوب بتزعل من بعضها ليه؟!). والطريف أن الناقد الرياضى محمود معروف عرض عليها كتابة قصة الفيلم والسيناريو والحوار خلال أسبوعين على الأكثر!!

هذه الحادثة تكشف مدى سعى الفنانين للاستفادة من كرة القدم، وتشير إلى أن الناقد الرياضى يمكن فى أقل من دقيقة أن يتحول لكاتب سيناريو، فالكل يسعى للحصول على أكبر فائدة من "كعكة" كرة القدم، واستثمار فرحة الناس لصالحه،فإذا لم يكن له دور فى الفوز كان له نصيب فى استغلال فرحة الفوز.

ما فعلته إلهام شاهين سبقها إليه كثير من الفنانين الذين يعشقون "ركوب الموجة" ورأيناهم يتكدسون فى مقصورة استاد "أم درمان" فى السودان أثناء مباراة المنتخبين المصرى والجزائرى الشهيرة فى تصفيات كأس العالم، بل إن هناك فنانين لم نعرف أسماءهم إلا عن طريق البرامج الرياضية.

لكن فى الوقت نفسه هناك فنانون يربطهم بكرة القدم عشق حقيقى لدرجة أنهم يدفعون من "جيوبهم" من أجل إحضار اللاعبين الذين يحتاجهم فريقهم وعلى رأس هؤلاء الفنان صلاح السعدنى الذى يتدخل لإنهاء صفقات اللاعبين للأهلى، ونفس الشيء ينطبق على حالة عائلة العدل، وتحديداً سامى العدل الذى يظهر دائما فى أزمات نادى الزمالك. والغريب أن هناك فنانين أصحاب رصيد فنى كبير ويحبون كرة القدم ورغم ذلك يبتعدون عنها ويعتبرونها نداً لهم مثل محمد منير الذى يشجع نادى الزمالك، فى حين أن منافسه الدائم عمرو دياب (الزملكاوى أيضا) سارع بإعلان رغبته فى إحياء حفل المنتخب بعد

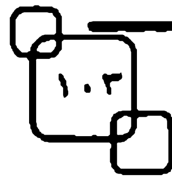
فوزه للمرة السابعة بكأس إفريقيا فى أنجولا، ورغم شعبيته الكبيرة فإنه قال " لم أر هذا الكم من الجمهور فى حياتي.. وأشكر لاعبى مصر الذين جعلونى أغنى أمام هذا الحشد من الجمهور الذى يملأ استاد القاهرة".

المدهش أن الفنان الكبير نور الشريف ابتعد تماما عن المشاركة فى كل ما يحدث على الساحة الرياضية، ولم يظهر أثناء البطولات المهمة أو بعد الحصول عليها، رغم أنه بدأ حياته لاعباً فى نادى الزمالك، ربما لأنه يدرك الفرق بين مشاركة اللاعبين فرحتهم والسطو عليها!

اللى مالهومش فيها

بمجرد أن شاهدت كل الأغانى الوطنية التى أصبحت تذاع ليل نهار بصحبة البرامج الوطنية – أقصد الرياضية – تذكرت ما قاله أحد قادة حرب السادس من أكتوبر "لو لم نحارب لأصبحت مصر.. سماسرة بالنهار وراقصات بالليل "، لأننى أعتقد أن ما كنا نخشاه حدث بل حدث أضعافه، فالسمسار أصبح نجم مجتمع، ومتعدد الأنشطة فمرة يشترى لاعبين ومرة يشترى عقارات و سيارات وأحياناً يعمل "مُورد كومبارس" وهكذا حتى أصبح السمسار رجل أعمال والراقصة فنانة قديرة لها جمهورها الذى ينتظرها بفارغ الصبر !

وبالتالى فمن الطبيعى أن الأغانى الوطنية التى كنا نرددها بعد نصر أكتوبر ١٩٧٣ تصبح فى ٢٠١٠ أغانى المنتخب القومي، وبدل من أن تكون الخلفية الجندى المصرى البطل الذى عبر القناة وأعطى لإسرائيل درساً فى القتال



أصبحت الخلفية اللاعب الكبير الذى عبر بالكرة مرمى الخصم، وأعطى درساً لحارس المرمى والمدافعين، لدرجة أن الأغنية العظيمة التى سجلتها فيروز لتكون شاهدة على صمود الشعب الفلسطينى فى مواجهة الصهاينة التى تقول كلماتها "الغضب الساطع آت وأنا كلى إيمان.. الغضب الساطع آت سأمر على الأحزان" تم استخدامها فى مواجهة المنتخبات الكروية العربية، بل إن الناقد الرياضى تحول إلى مراسل حربى يظل طوال الليل وحتى صباح اليوم التالى ينقل أعداد الجرحى دقيقة بدقيقة على الهواء.

لا أعتقد أن الشعراء الذين كتبوا هذه الأغانى أو الملحنين الذين لحنوها أو المطربين الذين قاموا بغنائها ظنوا للحظة أن يأتى اليوم الذى تذاع فيه أغانيهم عقب كل مباراة رياضية، فبعد أن كنا نسمع "بين الأهلى والزمالك محتارة والله" أصبحنا نسمع "يا حبيبتى يا مصر.. و صورة كلنا كده عايزين صورة.. و ادخلوها سالمين..و بحبك يا مصر.. و مصريتنا وطنيتنا.. و مصر الحبيبة.. و مصر هى أمى.. و يا أغلى اسم فى الوجود.. و حلوة بلادى السمرا.. و ماتقولش إيه ادتنا مصر".. وكأننا انتصرنا فى معركة حربية وليس فى مباراة كرة قدم الأصل فيها المكسب والخسارة، فلم يبق سوى إذاعة أغنية "خلى السلاح صاحى" قبل المباريات المهمة (أو المصيرية على حد تعبير مذيعى القنوات الرياضية) لنعلن الحرب !.

منذ اختراع كرة القدم ودخولها مصر على يد الاحتلال الانجليزى، وحتى عام ٢٠٠٦ لم تكن هناك أغنية للمناسبات الكروية سوى الأغنية الشهيرة لصباح "بين الأهلى والزمالك محتارة والله" وكانت تذاع قبل كل مباراة بين قطبى الكرة المصرية قبل أن يصبح الأهلى هو القطب

الأوحد ويصبح الزمالك مجرد ضيف شرف يقوم بمشهدين أمام البطل أحدهما في الدور الأول والآخر في الدور الثاني، ونتيجة المباراتين تكاد تكون محسومة للأهلي إلا في حالة نادرة يكون فيها الزمالك في أفضل حالاته والأهلي في أسوأ حالاته فتنتهي النتيجة بالتعادل بين الفريقين بدون أهداف !

لذلك كانت الأغنية الرياضية في طريقها إلى الانقراض إلى أن شاء القدر أن يبعث إلينا الملهم للشعراء والملحنين والمطربين حسن شحاتة ويبدأ مسيرته العامرة بالبطولات بكأس الأمم الإفريقية ٢٠٠٦، بعدها تنفجر " ماسورة" الإبداع الفني فنجد كل يوم أغنية رياضية مرة للأهلي، ومرة للزمالك، وخمس مرات للمنتخب وهكذا، وكانت صاحبة كلمة الافتتاح في هذه المسيرة الغنائية الكروية "نانسي عجرم" عندما غنت " لو سألتك أنت مصرى تقوللى إيه ؟"ويبدو أن المطربة اللبنانية كانت صادقة في إحساسها فأصبحت أغنيتها هي الأغنية الأولى على مدار عامين ومعها عدد آخر من الأغاني، ولكن في المرتبة الثانية بعدها مثل "والله وعملوها الرجالة " لحمادة هلال.

ثم تدخل لعبة الأغاني الوطنية الكروية الفنانة شيرين بأغنية " مشربتش من نيلها" تلك الأغنية التي أصبح يتم تحليلها والتركيز عليها في مباريات المنتخب القومي مثلما يتم الحديث عن خطط اللعب وقوة الفريق المنافس وذلك بعد أن قال الكابتن حسن شحاتة – المدير الفني للمنتخب – إنه يحرص على أن يسمعها اللاعبين قبل المباريات المهمة لتكون جزء من خطة الفوز.

بعدها انطلق سيل جارف من الأغاني مثل "بحبك وحشتيني" لحسين الجسمي.. و "لوكنا بنحبها" لمدحت صالح وتامر حسني..

و"ناسها ولاد أصول" لمحمد حماقي.. و"ارمي حمولك عليا" لهيثم شاكر (التي بمجرد أن غناها اكتشفنا أنه هارب من الخدمة العسكرية).. و "خلي عيونكم عليها" لمحمد رفاعي وغيرها من الأغاني التي لا يمكن حصرها وأصبحت هناك أغان لمباريات كرة القدم افتتحتها كالعادة نانسي عجرم بأغنية "بحب اتنين أهلي وزمالك"، ثم جاءت بعدها أكثر أغنية تشعر فيها بإخلاص مغنيها لناديه لدرجة جعلته يسطو على كلمات عمنا صلاح جاهين في ملحمة"على اسم مصر":

على اسم "مصر" يقدر يقول التاريخ ما شاء
أنا مصر عندي أحب وأجمل الأشياء
يقول في أغنيته "بحبك يا زمالك" التي انتشرت كالنار في الهشيم، بل أصبحت من ثوابت البرامج التي تتحدث عن الزمالك:
على "الزمالك" التاريخ يقدر يقول ما شاء
أنا الزمالك عندي أحلى وأجمل الأشياء

لكن بقية زملائه الذين حاولوا الاستفادة من شهرة الأندية الكبيرة لم يتركوه وحده، خاصة أنه يغني لناد لا يفوز إلا نادراً فما بالك لو كانت الأغنية لناد يفوز على طول الخط، فغنى سعد الصغير "الأهلي في كل حتة عمال يجيب جوان"، وغنى ريكو ومعه هدى "اللي يقدر على الأهلي " وغنى أبو جريشة "أمي أهلاوية وأبويا زملكاوي" أما إيهاب توفيق فغنى "لو إيدي في إيد اخويا".

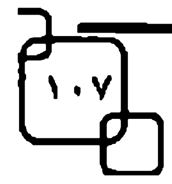
حمى الأغاني الوطنية و الرياضية أسبابها واضحة فكل مطرب يريد أن يكسب شعبية على حساب لاعبي الكرة الذين أصبحوا في يوم وليلة أبطالاً يحققون انتصارات قومية، ويقوم الرئيس بتكريمهم،

وبالتالى فالمطرب الذى ليس له جماهيرية هو الذى يسعى خلف الفريق هنا وهناك ويذهب للبرامج الرياضية أكثر من البرامج الغنائية من أجل كسب شهرة لن يجدها، لذلك نجد أغلب الذين يقومون بهذه الأغانى من محدودى الشهرة، أما المشاهير منهم فتجد أنهم يحبون كرة القدم، ولا يشعرون بأنها تنافسهم، لكن بعض نجوم الصف الأول فى الغناء لم يقدموا أغانى المناسبات،و لم يسعوا لدخول المنافسة على جمهور الكرة لأن جماهيرهم لم تنصرف عنهم مثلما حدث مع الآخرين.

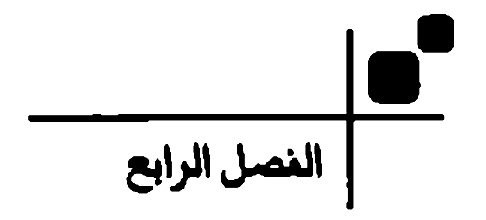
لكن يظل الفرق بين الأغنية الوطنية فى الخمسينيات و الستينيات، وحتى نصر أكتوبر ١٩٧٣، وبين الأغانى الوطنية هذه الأيام، هو الفرق بين سيدة الغناء أم كلثوم وهيفاء وهبى.. بين موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب وسعد الصغير.. بين عبد الحليم حافظ وريكو.. لذلك هذه الأغانى أو بمعنى أدق "السبوبة الغنائية" ستنتهى مثل أى ظاهرة حدثت ومرت لزوال أسبابها؛ لأنه ليس منطقيا أن يكون "اللى مالهومش فيها بيغنوا لمصر.. وإحنا معاهم"!

وعلى رأى عمنا بيرم التونسى:

يا أهل المغنى دماغنا وجعنا
دقيقه سكوت لله
داحنا شبعنا كلام ماله معنى
يا ليل ويا عين و يا آه
حافضين عشره اتناشر كلمه
نقل من الجـــــورنال



شوق وحنين وأمل وأمانـــــى
وصد وتيه ودلال
واللى اتعــاد يتزاد ياخـــــوانا
وليل ونهـــــار هــوّاه
ياهل المغنى دماغنا وجعنــــــا
دقيقه ســكوت لله



الفصل الرابع

العلاقة بين السلطة السياسية والثقافية هى دائما علاقة فيها قدر من التوتر تحت جميع الأنظمة السياسية، فالسلطة دائما تريد من يؤيد، أما المثقفون فهم ضمير الأمة

نجيب محفوظ

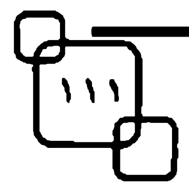
.. ومات توفيق الحكيم !

رحم الله أستاذنا توفيق الحكيم.

لقد مات من الحسرة !

قرأ أن أحد لاعبي كرة القدم وهو دون العشرين قد دفعوا له ثلاثة ملايين جنيه، وعلى الفور أمسك توفيق الحكيم قلما وورقا وراح يحسبها، وخرج من عمليات الحساب هذه بأن جميع الأدباء من آدم حتى توفيق الحكيم لم يكسبوا ثلاثة ملايين جنيه.. عاشوا بعقولهم وماتوا بها، ثم جاء من بعدهم واحد يعيش "بجزمته" فأعطوه ثلاثة ملايين، وهو ما لم يحصل عليه جميع الأدباء في كل العصور.. فهناك أدباء ماتوا من الجوع وماتوا من البرد، وتعبوا وتعذبوا وأحرقوا كتبهم في الشرق وفى الغرب، وبعض الأدباء كانوا حفاة حتى لو كانت عندهم جزم.(١)

(١) أنيس منصور : الشرق الأوسط، فى ٢٥ يونيو ٢٠٠٩



هذه هى رؤية أغلب المثقفين لكرة القدم وسر عدائهم لها، فربما لو عاش توفيق الحكيم معنا إلى اليوم الذى يوجد فيه لاعب كرة قدم يحصل على ١٠٠ مليون يورو لمات بالسكتة القلبية في حينها، ولندم على كل ما كتب، وربما كان لعن اليوم الذى أصبح فيه مفكراً وتمنى أن يصبح لاعباً، لذلك من الطبيعى أن نجد بعض كبار المثقفين يرددون عبارة الأديب العالمى وليام شكسبير التى جاءت على لسان أحد أبطاله فى مسرحية الملك لير " أنت يا لاعب الكرة الحقير" وهم يرون أن التعامل مع لاعبى الكرة باعتبارهم أبطالاً قوميين يعد جريمة لأنه " لاعب لا راح ولا جه ولا قرأ ولا درس.. ياخد مليون جنيه في السنة.. و من غير ضرايب! " وينظرون لمشجع الكرة باعتباره مريضاً يجب أن يذهب لأقرب طبيب نفسي للعلاج، بل يقولون " معقول فيه حد عاقل يدفع فلوس عشان يشوف التفاهة دى.. الناس اتجننت ؟!".

لكن فى الوقت نفسه هناك مثقفون ينظرون لكرة القدم باعتبارها رسالة سامية لا تقل أهمية عن تأليف الكتب والمسرحيات العالمية، ويأتى فى مقدمة هؤلاء أنيس منصور الذى يقول عنها: كرة القدم لعبة نبيلة.. ولكنها أنبل من أن نتركها للاعبين والمدربين والنقاد.. إن أساس كرة القدم أن جماعة اتفقوا على أن يلتقوا أمام الناس ويتنافسوا، وهذا التنافس فرصة لإظهار القوة والمرونة فى نفس الوقت ووسط قواعد وقوانين معروفة للجميع.. فإذا جاء النصر فهو مكافأة لانتصار القانون على القوة.. أو لاحترام القانون وتغلبه على العنف ولكن أهم ثمرات هذه اللعبة أن المتفرج قد استراح سواء كسب أم لم يكسب لأن الإثارة قد هزته ، وقبل أن تهزه قد أتت به من البيت إلى الملاعب، وقبل أن تجيء به إلى الملاعب قد أعدته نفسيا لذلك قبل المباراة بأيام.. هذه الهزة

قد نفضت عنه متاعب اليوم وجعلته أخف وزنا وأقدر على أن يواجه هموماً جديدة.. فكرة القدم أو ملاعب كرة القدم هي مستشفى للعلاج الجماعي والاجتماعي.. والملاعب مثل المسارح أيضاً، كل ما يجرى فيها هو تمثيل فى تمثيل.. فاللاعبون يجرون وراء كرة واحدة وليس معنى ذلك أنهم لا يجدون الكرة ففى استطاعة كل إنسان أن تكون عنده كرة وهم عندما يقتربون من الكرة لا يهربون بها إلى خارج الملعب وإنما يهربون بها إلى داخله.

فكل ما نراه تمثيل، ونحن نعلم ذلك تماماً كما نتفرج على المسرحيات.. فالذى يبكى والذى يضحك والذى يتزوج والذى يقتل، كل ذلك لم يحدث فى الواقع وإنما يحدث كأنه شىء واقعى، ونحن نعلم ذلك قبل أن نذهب إلى المسرح، ونصفق فى النهاية لمن استطاع أن يوهمنا أكثر بأنه قتل وتزوج أو حتى مات.. وكذلك فى كرة القدم نحن نصفق لمن استطاع أن يوهمنا أكثر بأنه أمسك الكرة وسددها إلى الشبكة و أدخلها فى الهدف.

وكرة القدم محكمة مكشوفة، وهناك فريقان يتباريان في براعة، وهناك مستشار واثنان من القضاة وألوف المحلفين وتجرى المحاكمة.. واللعب مكشوف والغلط مفضوح.. ولذلك فاللعبة تكشف أخلاق اللاعب، إذا غش فضحه الناس.. وإذا تسلل أمسكه القضاة، و من هنا كانت كرة القدم أخلاقاً وتمسكاً بالأخلاق.

ملوك السخرية ارتبطوا بكرة القدم ارتباطا من نوع خاص فهم يتابعون الكرة من موقع "المشجع" الذى ينتمى لفريق بعينه ويفرح لانتصاراته ويعانى مع انكساراته، علاوة على أنهم يرون فى الكرة "مادة

للسخرية" - وهى فعلا كذلك- بما تحمله من مفارقات سواء فى أسماء اللاعبين أو فى طرق التشجيع التى تجعل المباريات أشبه بالمعارك الحربية التى يسقط فيها الناس جرحى التعصب.

الساخر أحمد رجب رسم صورة كاريكاتيرية لعالم كرة القدم فهو يقول: "كنت من أكبر مشجعى نادى الزمالك ثم حدث ما جعلنى - فى هذا الزمان البعيد - أن أكف عن هذا "التزملك" إذ تعرض النادى لسلسلة من الهزائم المشينة على يد أندية صغيرة مثل نادى "فابريكة المكرونة" ونادى شركة "النداغة" الأمر الذى كاد يصيبنى بكافة أمراض ضغط الدم والأعصاب، وقد حدث أيامها أن أمسك المارة بشاب بجوار نادى الزمالك وظلوا يضربونه وهو يستغيث ثم توقفوا عن ضربه وأطلقوا سراحه عندما أقسم لهم أنه نشال وليس لاعباً فى نادى الزمالك.

ثم جاءنى الأصدقاء الزملكاوية لأعود إلى حظيرة الزمالك مشجعاً فبرقت فى رأسى فكرة جديرة بالتنفيذ لماذا لا أساوم كما يفعل بعض اللاعبين بناديهم ؟ لماذا لا يدفع لى الزمالك مبلغاً محترماً حتى لا أنتقل إلى ناد آخر أشجعه ؟ لقد حان الحين ليحصل كل مشجع على حقوقه، فالمشجع يعد من أهم أطراف اللعبة وأبخسهم حظاً ورزقاً ثم إنه معرض - أثناء المباريات - للإصابة بكافة الأمراض ابتداءاً من الضغط والسكر إلى الانهيار العصبى والسكتة القلبية ولابد أن يكفل له اتحاد الكرة حقوقه ويوفر له شقة متواضعة على النيل، وسيارة خاصة صغيرة مرسيدس، ومعاملته معاملة اللاعب فى المكافآت والأجور.

مثل هذا المشروع - كفالة حقوق المشجع- كان يمكن أن ينصف تلك الفئة البائسة التى تظل تعوى فى الملاعب وفاءاً وحباً فى النادى

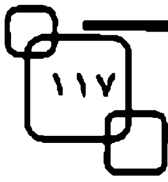
ولاعبيه غير أننى لم أجد أى حماسة من الزملاء المشجعين فاستقر رأيى على عدم تشجيع أى ناد والاكتفاء بالتعاطف مع المنتخب القومى".

لأنهم لا يقرأون!

يقف عمنا محمود السعدني الساخر الكبير وحيداً كحالة فريدة بين المثقفين، فقد اختار دائماً أن يكون موقفه واضحاً، وأن يعيش كأى مشجع مصرى له فريق ينتمي إليه ويشجعه (وهو الإسماعيلى) فى كل المباريات، وله رأى فى كل أزمة رياضية، لدرجة جعلته لسنوات طويلة يكتب صفحة ثابتة في مجلة رياضية هى "الأهرام الرياضى" ويشارك بقلمه في التعليق على الأزمات والإنجازات. لكن أجمل ما كتب السعدنى عن كرة القدم كان فى كتابه الفذ "عودة الحمار" فى فصل حمل عنوان "ولكن هناك فرقاً!" قدم خلاله صورة من قريب كمواطن عربى يتحدث مع فتاة فرنسية ويرصد خلال حواره معها الفرق بين الكرة العربية والأوروبية ويكشف الحال الذى وصلت إلى الرياضة في الوطن العربى.

الحوار الذى جاء فيه:

قالت البنت الخوجاية: أنتم تمارسون الرياضة بالطبع. قلت طبعاً،



وعندنا فريق وطنى حصل على كأس أفريقيا وفريق وطنى آخر حصل على كأس آسيا، واشترك أكثر من ٦ منتخبات فى مسابقات كأس العالم وبعض فرقنا حققت انتصارات على منتخبات أوروبية من بلادكم.
قالت البنت: أنا أعرف هذا وأعرف ما هو أكثر، ولكن هذا لا يعنى أنكم تمارسون الرياضة، والحقيقة أنكم تشاركون فى بعض المباريات الرياضية لكن ممارسة الرياضة لها شروط، أول شرط أن تكون مستعداً للفوز والهزيمة والشرط الثانى أن تنظر للفريق الآخر كمنافس وليس كعدو، فإذا فاز صافحته بود، وإذا فزت عليه صافحته بحب، ولكن انظر حولك لما يجرى عندكم فى الملاعب.. آخر وقائع ممارستكم الرياضية فريق من عندكم كان يتبارى مع فريق من عندكم برضه، وفجأة انقلب الملعب إلى ساحة حرب، ضرب"بالشلاليت" وضرب "بالبوانى" وجرحى نقلوا إلى المستشفيات، مع أن الفرقتين من جنس واحد والجميع عرب، بعد هذه المباراة بقليل دارت مباراة أخرى فى "الفولى بول" بين فرقتين والجميع من جنس واحد عرب بواسل، وعقب انتهاء المباراة قام الفريق المهزوم بتحقيق انتصار آخر فى المصارعة والكاراتيه والملاكمة !

الغريب أن تلك الصورة لم تختلف كثيراً رغم مرور سنوات على كتاب عمنا السعدنى"عودة الحمار" الذى تشعر أنه بدأ كتابته بعد أن شاهد مباراة مصر والجزائر المؤهلة لكأس العالم التى أقيمت فى السودان فى نهاية عام ٢٠٠٩ وليس قبل ٨ سنوات من هذه الأحداث، فالمنتخبات العربية وشعوبها – التى تحولت لمجرد جماهير لكرة القدم – أصبحت تتعامل مع المباريات التى تجمعها باعتبارها معارك حربية، الهزيمة فيها غير واردة، ونحن للأسف مثل السمك بلا ذاكرة، فلا نتعلم أبداً من الأخطاء بل نتفنن فى تكرارها بنفس التفاصيل، كما قال الفيلسوف

الأمريكي جورج سنتيانا "الذين لا يقرأون التاريخ هم فقط المحكوم عليهم بتكراره". وأيضاً ماقاله موشي ديان بعد نكسة ٦٧ عندما سُئل لماذا هُزم العرب فأجاب: "لأنهم لايقرأون".

ربما لذلك يظل المثقفون فى حالة شد وجذب مع كرة القدم حتى لو أحبوها، فهم لا يُظهرون هذا الحب إلا فى حالات نادرة، مثل حالة هرم الرواية العربية نجيب محفوظ الذى يروى قصة حبه لكرة القدم بقوله: قد لا يصدق أحد أنني كنت في يوم من الأيام "كابتن في كرة القدم" واستمر عشقي لها حوالي عشر سنوات متصلة، في أثناء دراستي بالمرحلتين الابتدائية والثانوية، و لم يأخذنى منها سوى الأدب، ولو كنت داومت على ممارستها فربما أصبحت من نجومها البارزين، وعلاقتي بالكرة ترجع إلى الفترة التي انتقلنا فيها إلى العباسية، كنت وقتذاك قد التحقت بالمدرسة الابتدائية، واصطحبني شقيقي ذات يوم لزيارة صديق حميم له من عائلة الديواني

وكان بيت هذا الصديق يطل على محطة السكة الحديد ، وعندما فرغنا من تناول الغداء اقترح أن يصطحبنا لمشاهدة مباراة في كرة القدم بين فريق مصري وآخر إنجليزي، وكم كانت دهشتي كبيرة عندما فاز الفريق المصري، فقد كنت أعتقد حتى ذلك الوقت أن الإنجليز لا ينهزمون حتى في الرياضة. رجعت يومئذ إلى البيت وذهني كله معلق بكرة القدم، وبأسماء لاعبي الفريق المصري الذي هزم الإنجليز، وخاصة كابتن الفريق حسين حجازي – نجم مصر ذائع الصيت في ذلك الوقت – وطلبت من والدي أن يشتري لي كرة، وألححت عليه حتى وافق، وبدأت أقضي وقتاً طويلاً في فناء المنزل ألعب الكرة بمفردي، محاولاً تقليد ما شاهدته في

تلك المباراة التي خلبت عقلي، وبسرعة شديدة استطعت أن أتقن المبادئ الأساسية للعبة.

علاقة نجيب محفوظ بالكرة لم تنقطع، فقد لعب في فريق الصغار بالمدرسة في خط الهجوم وتحديداً في مركز الجناح الأيسر، ويروى ذكرياته قائلاً: رغم أنني لا أجيد اللعب بقدمي اليسرى، وكان ذلك المركز يحد كثيراً من حركتي، ومع ذلك كنت هداف الفريق وأكثر لاعبيه إحرازاً للأهداف (ليصبح هداف الرواية الأول بعد ذلك)، ولما انتقلت إلى مدرسة فؤاد الأول الثانوية تغير مركزي وأصبحت لاعب قلب دفاع، وأجدت في المركز الجديد، لدرجة أن كثيرين ممن شاهدوني في ذلك الوقت تنبأوا لي بالنبوغ في كرة القدم، وبأنني سألعب لأحد الأندية الكبيرة، ومنها إلى الأولمبياد مع المنتخب الوطني، ومن هنا كانت دهشة زملائي عندما انتقلنا إلى الدراسة الجامعية ورفضت الانضمام إلى فريق الكرة بالجامعة، ومنذ ذلك الوقت انقطعت صلتى بكرة القدم من ناحية الممارسة ثم انقطعت صلتي بها من ناحية المشاهدة والمتابعة بعد اعتزال الكابتن حسين حجازي. وحسين حجازي عندي هو حقيقة رأيتها وأسطورة سمعت عنها، فقد رأيته في أواخر حياته الكروية قبل الاعتزال، ونظراً لشعبيته الرهيبة وموهبته الفذة ظل يمارس اللعب حتى شارف الأربعين من عمره، وهي سن كبيرة بالنسبة للاعبي كرة القدم، ففي الغالب يعتزل النجوم بعد تخطي سن الثلاثين بقليل وحتى في هذه السن المتقدمة كان حسين حجازي له ثقله في الملعب.

وكان إلى جانب حسين حجازي من النجوم المشهورين في تلك الفترة هناك "علي الحسني " وكان من فتوات بولاق، ويلعب في مركز

قلب الدفاع، وتميز ببنيانه القوي، وطريقة لعبه العنيفة، وإن كان "مرعي" حارس المرمى أشد منه عنفاً، حيث كان شعاره في اللعب "اللي يفوت يموت" وكان مرعي أشبه بالعملاق لدرجة أنه كان يصد الكرة بيد واحدة ويتلقفها كما يتلقف البرتقالة، حتى إنها كانت تستقر في يده ولا تتحرك أبدا. وفي "المرايا" أشرت لشخصية "علي الحسني" وبعد نشر الرواية فوجئت به يتصل تليفونياً ليشكرني على تذكري له.

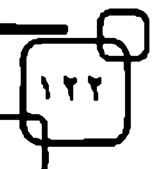
لم يكتف الأديب العالمى بالحديث عن الجيل الذى أحبه وشجعه فى كرة القدم بل إنه رصد الفرق بين جيله والأجيال التى تلته بقوله: الملاحظة التي لفتت نظري أن نجوم كرة القدم الآن أصبحوا أكثر ثراء من نجوم السينما بينما كان دخل لاعب الكرة قديماً ضعيفاً جداً، حتى إن علي الحسني بعد اعتزاله لم يجد ثمن الدواء، وكان اللاعب يمارس الكرة على سبيل الهواية بينما له حرفة أخرى يتكسب منها رزقه، و لم يكن يتفرغ لها إلا أولاد الذوات و الانتشار الرهيب لكرة القدم ربما يكون بسبب الإذاعة والتليفزيون والصحف التي أصبحت تفرد للكرة مساحات كبيرة، وفي أيامنا كان الاهتمام أقل من ذلك بنسبة كبيرة لانشغال الناس بالقضايا السياسية. أما عن التعصب الذي يشكون منه الآن بين جماهير الأندية فكان موجوداً في أيامنا أيضاً خاصة في المباريات بين فرق القاهرة والإسكندرية، وفي المباريات التي كانت تذهب فيها فرق القاهرة للعب في الثغر كما كنا نسميه، تتحول الإسكندرية إلى ثكنة عسكرية وتعلن حالة الطوارئ تحسباً لشغب الجمهور.

المدهش أن نجيب محفوظ ظل محبا للكرة لدرجة جعلته يقول:أحيانا أفتح التليفزيون فأجد مباريات كرة القدم فيأخذني

الحنين القديم وأندمج في المشاهدة.

الأدب له هرمان ثابتان لم يؤثر فيهما الزمن هما نجيب محفوظ فى الراوية ويوسف إدريس فى القصة القصيرة،فكلاهما كان دائماً على النقيض من الآخر والمنافسة بينهما كانت محتدمة طوال الوقت، فإدريس يرى أنه الأحق بجائزة نوبل من محفوظ خاصة أن الصحف العالمية أعلنت فوزه قبل إعلان النتيجة الرسمية بفوز نجيب محفوظ لتزيد الفجوة بين العملاقين اللذين لم يختلفا فقط على مستوى الإبداع لكنهما اختلفا أيضا فى رؤيتهما لكرة القدم، ففى الوقت الذى كان فيه محفوظ يعلن حبه للكرة كان يوسف إدريس يقول: المولد الحيانى حقاً هو مولد الرياضة، بإحصائية بسيطة تنشر صحافتنا حوالى مائة صفحة كاملة للرياضة كل أسبوع (عام ١٩٨٥) أغلبها لكرة القدم وحدها، حتى إن بعض الصفحات الرياضية لا تكتفى بوصف واحد تفصيلى لمباراة كرة القدم الواحدة، وإنما هى تقدم أحيانا وصفاً يقوم به مسئول الباب، ووصفين آخرين للمحررين، ناهيك عن التعليق، والمفارقات التى يتولاها محرر ثالث، وحديث مفصل لكل حركة قدمها هذا اللاعب أو ذاك بحيث إن الجمهور يعرف كل كبيرة وصغيرة عن أحدث لاعب فى أى ناد، إذا "شاط" شوطة جيدة أصبحت الشوطة مانشيت وحديث المدينة، و أى "أوف سايد " ممكن أن يتحول إلى صراع حول مشروعيته أو ربما أقيمت المحكمة الدستورية العليا للنظر فيه.

نظرة يوسف إدريس لكرة القدم المصرية تحديداً تستدعى الانتباه، فمن كلامه يظهر أنه يشاهد المباريات حتى لو كانت بطريقة غير ثابتة فهو يعرف "مصطلحات" الكرة جيداً وقرأ الصفحات الرياضية، على عكس



عدد كبير من المثقفين الذين يكرهون الكرة "لله فى لله" بل إنه يتابع - حتى وإن كان عن بعد - بعض المباريات فى الدوريات الأوروبية خاصة أنه قال بعد ذلك: إننا نحيا فى "مولد" كلام فى الكورة بينما اللعب نفسه، ومعظم المباريات أكاد أقسم وبالمقارنة إلى المباريات الأجنبية أنها لا تستحق التنويه !.. هذا دليل بقلمه أنه يشاهد المباريات المحلية والعالمية لكنه يرى أن "المصرية" منها لا تستحق حتى التنويه عنها.. وعنده حق !.. ربما لأنه لم يشاهد حسن شحاتة وهو يقوم بتدريب المنتخب القومى !

في ملعب الأدب !

ليس "يوسف إدريس" وحده الذى يكره كرة القدم ويعتبرها لا تستحق الكتابة عنها، ولا حتى التنويه إليها، فهناك عشرات من المثقفين الذين يوافقونه الرأى ويرون أن الكرة جريمة يجب التخلص منها وإبادة كل عناصرها لاعبين ونقاداً وجماهير، وهناك ثلاث فئات من المثقفين الذين يكرهون كرة القدم:

"الفئة الأولى" المثقف النجم الذى يكره الكرة؛ لأنها تشاركه محبيه، و تسحب من جماهيريته، وتشغل مساحات فى الصحف يرى أنه أحق بها، بل إن أكثر ما يضايقه هى المساحة التى تفرد للاعب بعينه يعتبره الناس نجماً، ويلتفون حوله رغم أن عمره لا يتجاوز عمر أبنائه.

"الفئة الثانية" من المثقفين الذين يكرهون كرة القدم أصحاب القضايا الكبيرة من أدباء جيل الستينيات الذين عاشوا آمال الحقبة الناصرية وأحلام الاشتراكية حين كان المثقف بطلاً قومياً سواء كان أديباً

أم شاعراً، لكن شاء القدر أن يعيشوا للزمن الذى يلعب فيه المثقف دور "الكومبارس" ويكون لاعب الكرة هو البطل.

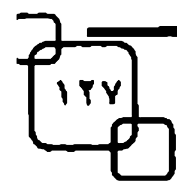
"الفئة الثالثة" هو المثقف الذى لا يعرف شيئا عن كرة القدم بحكم نشأته فى البداية، ثم اهتماماته فيما بعد، فهو يعيش فى مجتمع لا يعرف لغته التى تحولت من الأهداف الفكرية إلى الأهداف الكروية – مثلما قال توفيق الحكيم – وبالتالى أصبح من لا يجيد هذه اللغة غريباً فى بيته، وليس أمامه سوى أحد طريقين: الأول – أن يجلس أمام التليفزيون فى المباريات المهمة للتعرف على عالم الساحرة المستديرة حتى يستطيع فهم ما يدور حوله، والثانى – أن يُظهر عداوته لكرة القدم فى كل مناسبة ويعتبرها سبباً فى كل النكسات السياسية؛ والطريق الثانى أسهل وأكثر راحة للمثقف.

الدكتور جلال أمين يضع يديه على الأسباب السياسية لشعور المثقف المصرى بالاغتراب بقوله: مسكين المثقف الذى يتجاوز عمره اليوم الأربعين عاما؛ فقد عاصر بوعى كامل معظم الستينيات، وكل السبعينيات، وما انقضى من الثمانينيات وفى كل هذه العقود الثلاثة وقع تحت وطأة شعور ثقيل بالاغتراب؛

ففى الستينيات كان المثقف المصرى مدعواً لاجتماع يقال فيه كلام معظمه صحيح ولكن لا يقوله إلا شخص واحد ولا يسمح لغيره إلا بالموافقة بل لا يسمح فيه حتى بالموافقة إذا اقترنت بالتحفظ . وفى السبعينيات دُعى المثقف المصرى إلى مهرجان صاخب تردد فيه الأباطيل والمساخر بصورة يعجز العقل عن تصورها، وانقلبت السياسة المصرية من جد كئيب إلى هزل فاضح، وفى غمار هذا الصخب دُعى

الجميع للكلام: الجاد والهازل، الوطنى وغير الوطنى، فاشترك عدد لا بأس به من المثقفين المصريين لفترة ما فى الحوار ثم سرعان ما تبين أن الحريات المتاحة لم يكن يقصد منها أكثر من تمرير أشد السياسات رجعية وأكثرها فُجراً. ثم جاءت الثمانينيات فأصابت المثقف حالة جديدة من الاغتراب لا تقل عن سابقتيها قسوة، ولكنها تعود لسبب مختلف تماما ليس حرمانه من حقه فى الكلام والاعتراض كما فى حال الستينيات، وليس بذاءة الحكم وفُجره كما الحال فى السبعينيات، بل سبب من نوع جديد تماماً على المثقف المصرى، وهو أن الحديث المطروح أصبح خارج الموضوع أصلا، فإذا تكلم المثقف لم يجبه أحد،وكأنه لم يسمعه أحد فالسلطة لم تطرح الموضوعات المصيرية على الناس بل آثرت أن تتكلم فى موضوعات مختلفة تماما، من مترو الأنفاق إلى زراعة الفراولة إلى مباريات كرة القدم (!!)

كلمات المفكر جلال أمين وضعت أيدينا على أكبر سبب يدفع المثقفين لكراهية كرة القدم ألا وهو السلطة التى لم تنظر للمثقف الكبير مثلما تنظر للاعب الكرة، ولا تهتم بـ"المفكر" بقدر اهتمامها بـ "المدرب"، ولا تسمع آراء "الأدباء" بينما تنصت "لتحليل المباريات"، وبالتالى فلا عجب حين يلعن المثقف كرة القدم ويهاجمها بمناسبة حيناً ودون مناسبة أغلب الأحيان؛ لأن هذا هو الموضوع الوحيد الذى طرحته الدولة للنقاش، بل إن الدولة اعتبرت عبر إعلامها الرسمى أن لاعبى الكرة أكثر الناس وطنية ويستحقون تماثيل لهم فى الميادين العامة فقد حققوا ما لم يستطع أحد تحقيقه مهما بلغ قدره، من هنا وجد المثقف أن كلمة الوطنية فقدت معناها فأطلق عليها "الوطنية الجريحة".



و يعود انتشار الصحف الرياضية فى مصر للكاتب الكبير على أمين الذى كان عضواً بالنادى الأهلى وقد حمل معه هذه " الفكرة " من لندن، حيث تلقى تعليمه فى جامعة شيفلد هناك، وكان يدرس الهندسة فى الكلية الإنجليزية، ويدرس الصحافة فى الشارع والبيت بلندن، وغلبت الصحافة الهندسة، فعمل فى الصحافة وترك الهندسة عندما عاد لأرض الوطن، وكان يلفت نظره أن الصحافة الإنجليزية تخصص أربع صفحات أو أكثر للرياضة، بينما كانت الصحف المصرية تترك مساحة صغيرة على عمودين فى ذيل الصفحة لباب الرياضة، وإذا ماجاء " إعلان " أطاح بالباب كله !!. وهناك حادثة طريفة لاينساها الوسط الرياضى.. ففى عام ١٩٥٧ كان هناك اللقاء التقليدى بين الأهلى والزمالك فكتب المعلق وصفاً للمباراة على شكل موضوع كبير وكتب عمود أخبار قصيرة حول المباراة، وقد حدث أن نزل الأستاذ موسى صبرى وكان يومها مدير تحرير الأخبار إلى المطبعة، وكان متأخراً، وكانت بعض الموضوعات مازالت خارج الصفحات، وفى لهفة وسرعة سأل موسى صبرى عما فى باب الرياضة فقيل له:

- هناك موضوع وعمود أخبار.

فقال بسرعة: " شيلوا الموضوع وسيبوا الأخبار ". وظهرت جريدة الأخبار فى اليوم التالى بلا وصف لأهم لقاء كروى فى ذلك الموسم !!.. وهنا بدأ على أمين وشقيقه مصطفى فى تخصيص صفحة كاملة لأخبار الرياضة بل إنه استقدم فريق البرازيل فى قمة مجده ليمتع الناس بفن الكرة الحقيقى.. ولقى ربه و"ماكيت " تجارب مشروع مجلة جديدة للرياضة والشباب على سريره يضع عليها اللمسات الأخيرة.

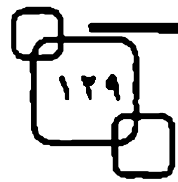
كرة القدم ليست من الألعاب المصرية أو العربية الموروثة عن السلف الصالح؛ إذ هي في الأصل لعبة إنجليزية انتقلت من بلدها إلي الدول الأوروبية ثم إلي المستعمرات البريطانية والتى كانت من بينها مصر، التي انتقلت منها إلى بقية الدول العربية.

وقد ظلت اللعبة منذ دخولها إلى مصر في نهاية القرن التاسع عشر محدودة الانتشار، وظل الاهتمام بها مقصوراً على أفراد جيش الاحتلال والجاليات الأوروبية إلي أن تعلمها عنهم عدد من المصريين وبدأوا يمارسونها، فبدأ الاهتمام الشعبي بها بعد أن ظل محدودا لسنوات طويلة، وكان من أبرز دلائل ذلك أن الصحف المصرية ظلت على امتداد الفترة بين بداية العشرينيات ومنتصف الخمسينيات تلقي بالأخبار الرياضية في الصفحة ما قبل الأخيرة إلي جوار إعلانات الوفيات والإعلانات المبوبة.

قد يقول قائل إن كرة القدم لعبة شعبية علي صعيد العالم كله وإن اهتمام الشعوب بها لا يتناقض مع اهتمامها بالشأن العام علي كل صعيد. وهو كلام صحيح في كثير من البلاد التي تضع شعوبها كل شيء في مكانه الصحيح، فتفرق بين الجد واللعب، لكن هذا الكلام الصحيح لا ينطبق كذلك علي شعوب كثيرة تحول اهتمامها بكرة القدم تحت ضغط الإلحاح الإعلامي والاستثمار السياسي إلي نوع من الهوس الجماعي يقود المصابين به إلي أشكال من التعصب الذي يقود إلي العنف اللفظي والبدني ويصل إلي حد الهتاف بحياة لاعب أو فريق كرة لأنه انتصر في إحدي المباريات، ثم قذفه بالطوب في اليوم التالي لأنه انهزم في مباراة أخرى.(١)

---

(١) صلاح عيسى : القاهرة، فى ٢٧ يونيو ٢٠٠٩



عدد كبير من المثقفين يرون أن عشق المصريين لكرة القدم يعد "مسخرة تاريخية" لأنها صنعت لهم نصراً وهمياً.. وهذا الرأى صحيح بالفعل ولا أود نفيه بل أريد إثباته كجريمة تاريخية ارتكبت فى حق "الشعب المصرى" الذى كان بمثابة "شاهد ما شفش حاجة" فهو مجرد "جمهور" يصفق لما يعجبه مما يتم عرضه عليه عبر وسائل الإعلام، فليس منطقياً أن تكون الدولة استطاعت تغييب المثقفين "بجلالة قدرهم" و لم يستطيعوا الصمود أمامها بكل ما يملكون من فكر وثقافة، ويريدون من الشعب الذى لم يغادر طيلة حياته موقع "المشجع" الذى يصفق "للعبة الحلوة" سواء كانت فى ملعب الكرة أم ملعب السياسة، أن يكون مشاركاً بدلاً من أن ينزل المثقفون إلى الناس ويتحاورون معهم ويحترمون عقولهم "فجميع الناس مفكرون ولكن وظيفة المثقف أو المفكر فى المجتمع لا يقوم بها كل الناس" مثلما قال المفكر الايطالى أنطونيو جرامشى الذى سجنه موسولينى.

لكن المشكلة أن المثقفين فى مصر - وفي الوطن العربى- كثرت المغريات من حولهم لدرجة جعلت عدداً كبيراً منهم يتخلى عن مبادئه و يتاجر بموهبته أو ينزوى بعيدا لشعوره بالاضطهاد، وهذه الحالة ظهرت عقب المرحلة النفطية، وأفرزت عددا من النماذج السلوكية لهم مثلما صنفهم محمود عبدالفضيل – أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة – وهم:

١. المثقف المراوغ: ذلك المثقف " الزنبقى " الذى يجيد إمساك العصا من الوسط، كما أنه بالغ الطموح، قليل الثقة بالنفس وشديد الاحتقار للجمهور، دائما مايبحث عن " مشاجب " أى الهروب من مواجهة المشاكل المطروحة، يراهن دائماً على

عدم وجود بديل فهو لا يسعى إلى طرح أى رؤية بديلة أو مستقبلية.

٢. المثقف الترزى: أقل موهبة من المثقف المراوغ فهو يكتفى بما يرد إليه من تعليمات، يمنح ولاءه وموهبته لمن يملك زمام الأمور أياً كانت توجهاته السياسية.

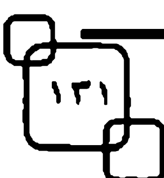
٣. المثقف المقاول: " مقاول الأفكار " يجيد تجهيز المشاريع البحثية بالشروط المناسبة، وقد يكون " الوكيل المعتمد " لإستيراد أنواع معينة من الأفكار أو يكون مثل " مقاول الأنفار " الذى يتولى تشغيل المشروعات البحثية نفسها.

٤. المثقف الاجترارى: " المثقف السلفى " فهو مثقف يعيش على أثر إنجازات السلف الصالح، يركن إلى الكسل الفكرى ويحلو له إعادة اجترار النصوص والمقولات الجاهزة، وتضعف لديه روح الابتكار والاجتهاد.

٥. المثقف الانتحارى: وهو المثقف الذى فضل اتخاذ موقف أحتجاجى على تردى الحياة الثقافية والفكرية والسياسية بالانعزال الكامل عن الحياة اليومية وصخب المحافل والمنتديات الفكرية مثل جمال حمدان.(١)

---

(١) محمود عبد الفضيل : المثقف العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ١٢٥



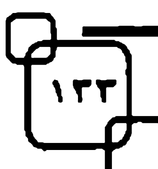
لا كورة نفعت ولا أونطة

سؤال فني: هل يمكن أن يتحول البطل الرياضي إلى بطل شعبي ؟

إجابة فنية: أيوه بالثلث (وأقرب مثال على ذلك حسن شحاتة).

لكن لازم البطل ده تتوافر فيه عدة شروط أهمها سمعته وصورته في أذهان وقلوب الناس إلى جانب إنجازاته بحيث يتحول إلى رمز يتجسد فيه حلم الأمم دى من أمم العالم التالت اللى مالوش أى إنجازات علمية أو صناعية في عالم بياكل ويشرب وينام ويصحى بالكومبيوتر.

هذا هو رأى عمنا الشاعر الفاجومى أحمد فؤاد نجم الذى رغم أنه كان واحداً من مشجعي كرة القدم بل وكان صديقاً لعدد من اللاعبين أمثال محمد الجندى وحنفي بسطان وأحمد مكاوى فإنه بعد نكسة ٥ يونيو، رأى أنها كانت واحدة من أسباب النكسة لأنها تغيب الناس عن واقعهم وتبعدهم عن القضايا الوطنية وقال عنها في إحدى قصائده:



رجعوا التلامذة
يا عم حمزة للجد تانى
يا مصر إنتى اللى باقية
وأنتى قطف الأمانى
لا كورة نفعت ولا أونطة
ولا المناقشة وجدل بيزنطة

ولكن سبحان مغير الأحوال عاد"نجم" مرة أخرى للكرة ونجومها بل إنه قام بعمل كتاب قام فيه بجمع مقالاته الكروية بعنوان" يا أهلى يا حبى يا حتة من قلبى" يروى فيه علاقته بكرة القدم وحبه الشديد للنادى الأهلى، وكأنه أراد أن "يكفر" عن خطئه فى حقها عندما حملها ما لا تحتمل، بل إنه طرح سؤالاً مهماً يقول: لماذا كرة القدم وحدها التى تحظى بكل هذا الاهتمام ؟

وأجاب: ألعاب كثيرة تحقق إنجازات على المستويين المحلى والدولى ومنها الهوكى والاسكواش واليد والسباحة بكل أنواعها ومسافاتها ومع ذلك ماحدش فينا كلف خاطره وقال لهم حتى سلامو عليكم.. إلا المجنونة بنت المجنونة الكورة اللى مجرجرانا وراها من حارة لشارع، ومن ملعب لملعب، عشاق صبابة مجانين، تطلع بينا فوق السحاب أحياناً، واحياناً تنزل بينا زرع بصل ولسان الحال بيقول "أحبه مهما اشوف منه ومهما الناس قالت عنه".. اللعبة الشعبية الأولى فى العالم مع الاعتذار الشديد لكل الألعاب والألاعيب البكش الأمريكانى.. فهى التى فرضت شهرتها وأهميتها على كل وسائل الإعلام العالمية وأرغمت حكام العالم على الهرولة إلى ملاعبها عشان يطلعوا جنبها فى الصورة !

كل ما قاله عمنا "نجم" صحيح ولكن هناك سبب آخر – لم يذكره – جعل الكرة هي أقرب الألعاب إلى قلب الشعوب، وهي أنها تقضي على فكرة الهيمنة بالقوة الموجودة في السياسة وفي أغلب الألعاب الرياضية التي تسيطر عليها الدول الكبرى (مثل كرة السلة في أمريكا)، فكرة القدم في العالم لها زعيم واحد، الكل يحبه ويلهث خلفه وهو البرازيل.

فالبرازيل هي القوى الأعظم – بحق – والأجمل، وبقية الدول تأتي خلفها بمسافة كبيرة، فنجومها يدخلون القلوب دون استئذان، و يمثلون انتصار "المهارة" على "الفتونة"، و"البسطاء" على "الأغنياء"، فهم شعب– أو بمعنى أدق جمهور– يشبهنا ونشبهه إلى حد بعيد، فالكرة هي حياتهم لدرجة أنه عندما قام حكم بطرد بيليه – أسطورة الكرة العالمية ونجم البرازيل – تدخل وزير الشباب والرياضة وأصدر قراراً بإيقاف الحكم شهراً و لم يستطع أحد الاعتراض على القرار، ليس لأن بيليه على حق والحكم على خطأ، ولكن بسبب المبررات التي ساقها الوزير لإصداره هذا القرار بقوله " لقد حرم الحكم الجماهير من متعة مشاهدة نجم محبوب وتلك جريمة لاتغتفر ".(١)

هذه الحادثة تكشف لنا أهمية كرة القدم في البرازيل (البلد الوحيد الذي يتصدر علمه صورة الكرة) فهي الأمل الذي يمكن أن تتسلل منه الفرحة إلى شعوب العالم الثالث، وعن طريقها تستطيع هذه الشعوب الجلوس مع شعوب العالم الأول "راس براس" وهذا سر شعبيتها في البرازيل وفي مصر أيضاً.

---

(١) عصام عبد الحافظ : أسرار ومشاهير الرياضة، مصدر سابق

لكن لا أعرف سبباً واضحاً لسر حب وارتباط عدد كبير من شعرائنا الكبار فى مصر والعالم العربى بكرة القدم فرغم ما قاله الشاعر الأمريكى أرشيبالد ماكليش "إن الشعر وكرة القدم لا يجتمعان" فإن شعراءنا لم يضعوا كلامه في حسبانهم، فلدينا شعراء كبار ينتمون لأندية ويشجعونها مثل نجم والأبنودى ومحمود درويش. وحتى الذين لا تدخل كرة القدم فى دائرة اهتماماتهم قد يستوحون منها بعض أبيات شعرية فى قصائدهم مثل صلاح جاهين.

الخال والشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى أهلاوى منذ صغره يتابع إنجازات وبطولات الأهلي رغم أنه فى الستينيات استضاف لاعبى نادى الزمالك في منزله، وكان من بينهم حين ذاك حسن شحاتة وفاروق جعفر، ويومها قال فاروق لحسن شحاتة إن الأبنودى أهلاوى إلا أن شحاتة نفى هذا الكلام وقال مش ممكن الأبنودى يكون أهلاوى !

ارتباط الخال الأبنودى بالكرة لا يقل عن اهتمام الشاعر الفلسطينى الكبير الراحل محمود درويش فقد كان يستمتع بمشاهدة كرة القدم ويعتبرها "أشرف الحروب"- على حد تعبيره - بل كان يتابع الكرة العالمية ويعرف نجومها، لدرجة انه كتب مقالاً عن أسطورة الأرجنتين الكروية مارادونا.

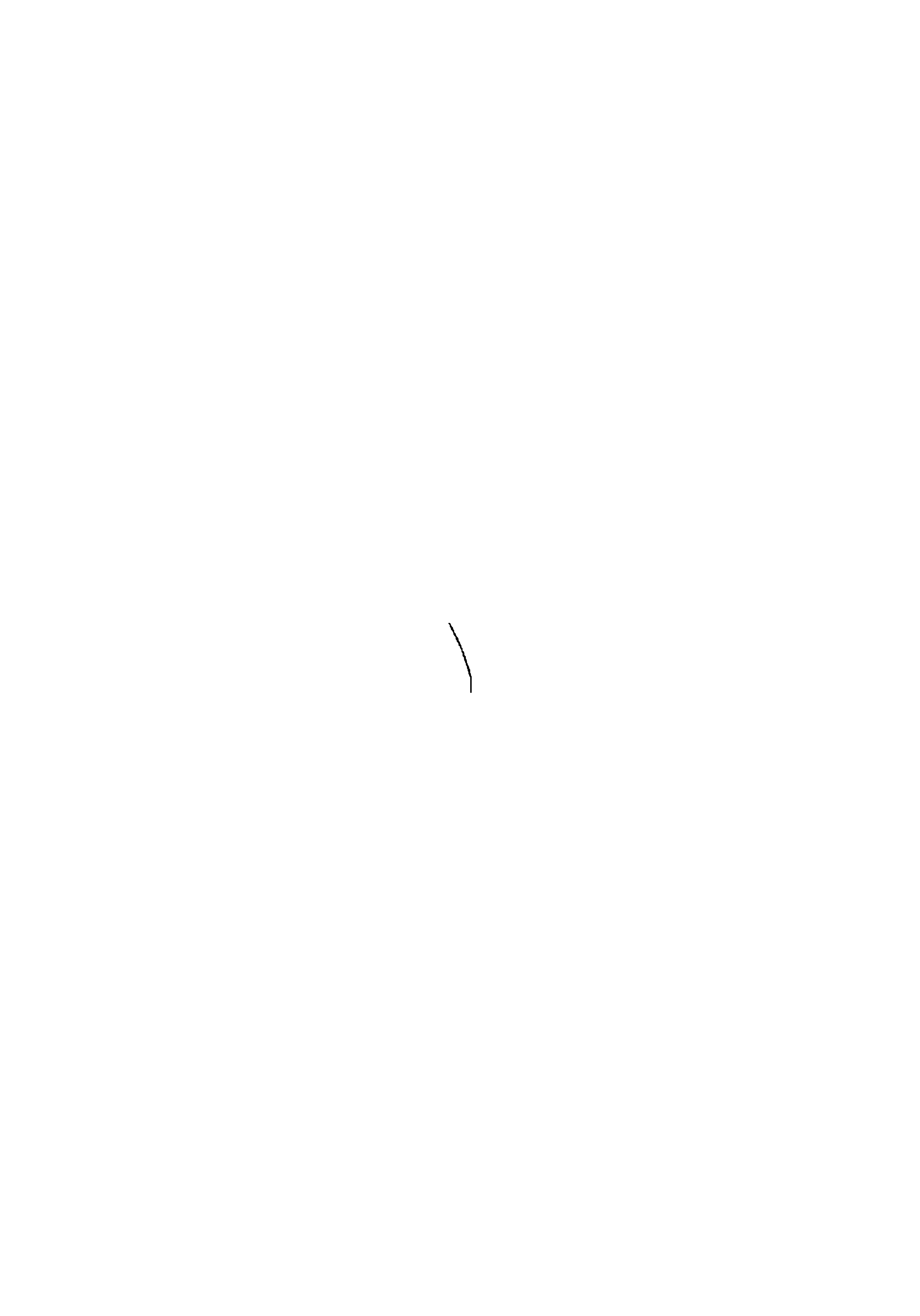
الغريب أن عمنا صلاح جاهين رغم أنه لم يكن من هواة كرة القدم إلا أنه استوحى إحدى رباعياته منها حين قال:

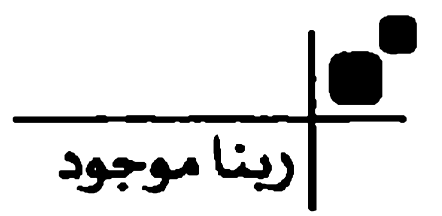
أنا قلبى كورة والفراودة أكم
ياما اتنطح وانشاط.. وياما اتعكم

وأقول له كله ح ينتهى فى المعاد
يقول بساعتك والا بساعة الحكم
.. عجبى !

الفصل الخامس

سُئل الإمام الشافعى فى مسألة فقهية: فسكت.. فقيل ألا تُجيب رحمك الله ؟ فقال والله لا أجيب حتى أعرف الفضل فى سكوتى أم فى جوابى !





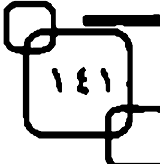
ربنا موجود

في عهد السلطان "سليمان القانوني" أعلن عن وظيفة إمام مسجد خالية، وكانت الشروط المطلوبة في المرشح هي:

١. أن يجيد اللغة العربية والتركية والفارسية واللاتينية.
٢. أن يكون دارساً وفاهماً للقرآن الكريم والإنجيل والتوراة.
٣. أن يكون عالماً في الشريعة والفقه والسيرة النبوية وتاريخ الإسلام.
٤. أن يكون عالماً في الرياضيات والطبيعة.
٥. أن يجيد ركوب الخيل والمبارزة بالسيف للجهاد.
٦. أن يكون حسن المظهر.(١)

هذه كانت شروط اختيار إمام المسجد منذ أكثر من ٥٠٠ سنة من (١٤٩٥- ١٥٦٦). آنذاك كان الشيخ في مصر رمزاً يسير الناس خلفه،

(١) د/ عبد الودود شلبي : الأزهر إلى أين ؟!، دار الاعتصام، ص ١٣٣



وقاضياً ينفذ المتخاصمون حكمه، و عالماً ينتظر الناس فتواه، و مفكراً لا يمكن تجاوز آرائه، و شجاعاً يخشى الحكام من جرأته، وثائراً يخوض معارك ضارية ضد الاحتلال البريطاني ويخرج فى الثورات، ويتصدر المظاهرات؛ فالإمام محمد عبده كان أحد قادة الثورة العرابية فى عام ١٨٨٢ وتم القبض عليه، وحكم عليه بالنفى خارج مصر لمدة ثلاث سنوات، امتدت إلى ست سنوات بل إنه دخل السجن متهماً بأنه وطنى بعد أن تطوع بعض أصدقائه من السياسيين والمثقفين بكتابة تقارير ضده - على حد قول رجاء النقاش - لكنه ظل على موقفه الشجاع وقال لهم: " لقد أخذت على نفسى كل مسئولية تنسب إليكم فما عليكم إن سُئلتم إلا أن تكونوا منكرين".

الإمام محمد عبده ليس وحده - من المشايخ - الذى وقف ضد الاحتلال، فشيخ الأزهر محمد مصطفى المراغى كان يقف أيضاً ضد الاحتلال البريطاني، فعندما قامت الحرب العالمية الثانية كان مركز إنجلترا فى بدايتها حرجاً، إذ توالت انتصارات هتلر على نحو يؤذن بانهزام الحلفاء، واضطرت انجلترا إلى أن تذيع فى الناس أنها تحارب من أجل الإنسانية أمام ديكتاتورية النازية، وطلب المستر "لاميسون" - السفير البريطانى - من الشيخ المراغى أن يذيع للعالم الإسلامى بياناً يعلن فيه أن انجلترا تحارب فى سبيل الديمقراطية لترعى حقوق العدالة والمساواة فغضب العالم الجليل من حماقة ما طلبه السفير ، ولم يؤثر السلامة ويصمت كأن شيئا لم يكن، لكنه انتهز فرصة الاحتفال بأحد المواسم الدينية، فألقى أمام الملك خطبة تكشف ما قاسته مصر والعالم الإسلامى من أهوال هذه الحرب المدمرة حيث سقطت القنابل على الإسكندرية وبعض المدن المصرية فأحدثت من الضرر النفسى ما فاق الضرر المادى،

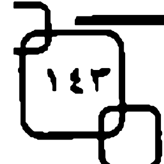
ثم هتف صريحاً بأن مصر تكابد حرباً " لا ناقة لها فيها ولا جمل".. مما جعل السفير البريطاني يطالب بإقالته.

الشيخ محمد الغزالى كان أيضاً واحداً من الدعاة الذين لا يخشون فى الحق لومة لائم؛ فقد دخل المعتقل فى ديسمبر ١٩٤٨، لكنه ظل معارضاً للملك فاروق وعندما قامت الثورة اختلف مع الرئيس جمال عبد الناصر. ونفس الحال في عهد الرئيس أنور السادات الذى قام بمنعه من الخطابة فى مسجد عمرو بن العاص وجمد نشاطه مما أجبره على الذهاب إلى السعودية لمدة سبع سنوات كاملة.

الشيخ الآن تبدلت أحواله وأصبح يكفى إمام المسجد أن يجيد القراءة والكتابة، بل يتم اعتباره "مفتيا" إذا كان حاصلا على مؤهل عالى، لأن أغلب الفتاوى المطلوبة منه لا تتجاوز حدود "الميكياج و كرة القدم" لدرجة أن أحد المشاهدين اتصل ببرنامج "الفتاوى" على قناة "الناس" الفضائية وسأل الشيخ "هل يعتبر بيع لاعبى كرة القدم مثل بيع العبيد قبل الإسلام ؟"

أعتقد أن هذا السؤال يلخص ما حدث لمصر ومشايخها الذين تفرغوا للإجابة عن أسئلة الجمهور حول كرة القدم وتركوا القضايا الكبيرة، ليتحول الإمام الذى يسير الناس خلفه إلى مجرد أداة هدفها جذب أكبر عدد ممكن من الاتصالات التليفونية من أجل زيادة دخل القنوات لتتسع الأسئلة الرياضية مع كثرة القنوات الفضائية الدينية لنجد أسئلة من نوعية:

هل كرة القدم حرام ؟
هل يجوز أن تشاهد البنات مباريات الكرة؟



هل اللاعب الذى يحرز هدف الفوز يحصل على حسنات أكثر من زملائه؟
هل تتفق قواعد كرة القدم مع قواعد الشريعة الإسلامية؟
هل الشورت جائز شرعاً؟
هل يجوز الاستعانة بالشيوخ قبل المباريات المصيرية ؟
هل البخور داخل مرمى الفريق يحميه من الأهداف؟
هل يجوز أن يتوب عصام الحضرى ويعود للنادي الأهلى بعد أن تركه متعمدا ؟

كنت أعتقد في البداية عندما سمعت هذه الأسئلة أنها خرجت من مشجع فقد عقله أو من مذيع "غاوى شهرة" لكن الكارثة أن الشيوخ – الذين نعتبرهم كبارا – خرجوا ليفتوا فى هذه القضايا الشائكة ! فالشيخ خالد الجندى تبنى قضية حارس مرمى الأهلى عصام الحضري وقال: أولاً أنا أتكلم فى هذه القضية بوصفى أحد علماء الأمة، و ثانيا بوصفي أحد أبناء النادى الأهلى فأنا عضو بالنادى الأهلي، و ثالثا بوصفى مصريا حيث الشهامة والجدعنة، ورابعاً بوصفى إنساناً.. هذه الصفات جمعاء شجعتنى على أن أقول هذه الكلمات و أعلنها كنداء إلى الكابتن حسن حمدى رئيس النادى الأهلى و إلى أعضاء مجلس الإدارة و إلى الجماهير.. أقول لكم جميعا إن الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان و هو يعلم أنه خطاء، وكما قال النبى صلى الله عليه و سلم "خير الخطائين التوابون" و كما فى الحديث " لو لم تكونوا تذنبون لذهب الله بكم و جاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم". أريد أن أنبه إلى مسألة مهمة و هى أن النادى الأهلى هو مَثَل فى كل شىء.. مثل فى التحضر، ومثل فى القيم، ومثل فى العدل و المساواة، وأعتقد أيضا أن النادى الأهلى مثل يحتذى به فى العفو والتسامح، ومن غير المعقول أن يضرب الأهلى أمثلة

أخلاقية عديدة تقتدى بها أجيال بأكملها و لا يضرب لنا مثلاً فى الخلق القويم المسمى بخلق العفو و الصفح و التجاوز و التسامح، و كما فى الحديث الشريف " إن من شرار الناس منزلة يوم القيامة من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة" أى من يتمسك بمحاسبة المخطئ و يرفض اعتذاره، وإنى أدعوكم جميعا ألا تكونوا أصحاب عزة أعظم من عزة الله، فلو تصورنا أن الحضرى ارتد عن الإسلام أو كفر بالله و توجهنا إلى دار الإفتاء و سألنا هل له توبة؟ فسترد كل دور الإفتاء: نعم له توبة و له عفو و له مغفرة... أيكون الحضرى إذا كفر بالله له توبة و إذا تمرد على الأهلى ليس له توبة؟!

هنا تحول اللاعبون إلى قدسيين، و لعب الكرة إلى جهاد فى سبيل الوصول إلى كأس العالم، وانتشرت بيننا فجأة عبارات أصبحت مأثورة مثل: اقرأ الفاتحة خلى ربنا يكرمك فى الماتش.. ادعى لأولاد مصر يا حاجة.. ادبح عجل عشان يتفك نحس الفريق.. صلى الفجر جماعة لو عايز تجيب جون.. اقرأ سورة يس وهتبقى هداف إفريقيا.. اسجد بعد الجون عشان ربنا يكرمك.. خلى المصحف معاك على دكة البدلاء والمدرب هينزلك.. أوعى تسيب السبحة من إيدك وإلا هتخرج خارج تشكيلة المنتخب.. تلك العبارات خادعة لأن الأصل أن أى مسلم يجب عليه أن يصلى ويصوم ويزكى ويقرأ القرآن، دون أن ينتظر الجزاء أو "ضربة الجزاء"! لأن هذا الكلام يجعلنا نظن أن الفريق الفائز فى الجنة، والخاسر "ربنا غضبان عليه" وهذا خلط لا يليق بالدين الذى لا يجب أن يوضع محل اختبار نلجأ إليه فى الوقت الضائع! وبالتالى لا يجب أن نلوم الجماهير حين تهتف فى الاستاد أثناء مباريات الدورى الحاسمة "ربنا موجود.. بنلاعب اليهود"!

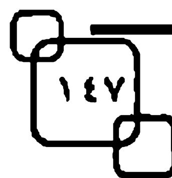
وبالتالى فمن الطبيعى ألا نجد اللاعبين الأقباط في لعبة كرة القدم المصرية، ففى بطولة الدورى الممتاز المسجل فيها ٤٠٠ لاعب، لا يوجد سوى لاعبين فقط من الأقباط وهما حارسا مرمى نادبي طلائع الجيش و بترول أسيوط ناصر فاروق وعماد فريد، وعلى مدار أكثر من عشرين عاماً لم يمثل الأقباط فى كرة القدم سوى ستة لاعبين فقط، وهذا يدل على أنه إذا كان الأقباط مهمشين في مجالات كثيرة فهم لا وجود لهم فى ملاعب الكرة إلا فى حالات نادرة لا تتكرر كثيراً.

البعض يرى أن الموهبة وحدها هى الحكم على من يلعب الكرة، وهذه حقيقة، لكن هل يعقل أنه لا يستطيع قبطى واحد - كل عام - النجاح فى اختبارات الأندية بشكل يؤهله للعب فى الفريق الأول فيما بعد أم أن تعصب بعض المدربين وجهلهم يتحكم في طرق اختيار اللاعبين (مثلما يشعر الأقباط) فى هذه السن الصغيرة ؟! لكن الغريب أنه حتى الأندية التى يملكها أقباط مثل نادى الجونة، الذى يملكه رجل الأعمال سميح ساويرس، لا يوجد فيه لاعب قبطى واحد فى الفريق الأول ! لذلك لا يوجد سوى لاعب قبطى واحد لعب لمنتخب مصر ومثله فى كأس العالم فى إيطاليا عام ١٩٩٠. إنه هانى رمزى، لاعب النادى الأهلى وأحد أفضل المحترفين فى تاريخ مصر، فقد قضى أكثر من عشر سنوات محترفاً بالدورى الألمانى، وعندما عاد إلى مصر قام بتدريب نادى إنبى وتم اختياره لتدريب منتخب الناشئين نظرا لخبراته الكبيرة كلاعب وأخلاقه التى جعلت الجمهور المصرى يضعه في مكانة مميزة، هذا بالإضافة إلى أنه طوال تاريخه الكروى لم يكن طرفاً فى اى مشكلة كبيرة أو صغيرة بل كان منسجماً مع لاعبى المنتخب الذين لعب معهم أو حتى اللاعبين الشباب الذين قام بتدريبهم، لدرجة أنه حفظ سورة الفاتحة وكان يردد

الأدعية مع زملائه المسلمين قبل المباريات.

لكن رغم المعاملة الاستثنائية التى تلقاها هانى رمزى، فإن هناك لاعباً آخر يشعر بالاضطهاد ويرى أنه ظلم كلاعب لكونه قبطياً، وهو محسن عبد المسيح - لاعب النادى الإسماعيلى - الذى رغم مهاراته العالية لم ينضم لمنتخب مصر يروى تلك الواقعة بقوله: جاءنى مراسل " فرانس فوتبول " وقال لى إنه سأل مستر سميث مدرب المنتخب عن عدم اختياره لى، فأخرج سميث أجندة وقال له " هذا الشخص مرفوض لأنه لا يستطيع قراءة القرآن "! (١)

(١) حوار : مجلة روزاليوسف، فى ١٢ فبراير ٢٠١٠



لو كان للإسلام دعاة!

في إحدى خطب الجمعة وقف الشيخ كشك يقول للمصلين إنه فوجئ بزحام شديد للغاية كاد يمنعه من الوصول إلي المسجد، واندهش الرجل من تلك الجحافل الرهيبة التي تجوب كل شوارع القاهرة في اتجاه واحد هو طريق صلاح سالم، حيث يؤدي ذلك الطريق إلي مطار القاهرة، فشعر الشيخ كشك ببعض التفاؤل، وبدأ يسأل الناس قائلا: إلي أين.. أأنتم ذاهبون لاستعادة المسجد الأقصى؟، فقالوا: "لا"، فعاد يسألهم: إلي أين.. أذاهبون لتحرير فلسطين؟، فقالوا: "لا"، فقال الشيخ: «فأنتم إذن في الطريق لطرد الصهاينة من سيناء والجولان»، فقالوا: "لا"، فتعجب الشيخ وسألهم: "إلي أين أنتم إذن ذاهبون"؟، فقالوا له إننا ذاهبون لحضور مباراة اعتزال الكابتن "زيزو" – عبدالعزيز عبدالشافي – في استاد القاهرة!! وحين سمع الشيخ كشك هذه الإجابة هتف" شيء لله يازيزو.. شيء لله

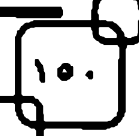
بازيزو" وظل الرجل يردد هذه الجملة حتي وصل إلي المسجد وواصل ترديدها وهو يروي القصة للناس خلال خطبة الجمعة!(١)

جرأة الشيخ كشك لا مثيل لها، فقد كان ينتقد كل شيء ولا يخشى أحداً رغم دخوله المعتقل مرتين فى عام ١٩٦٥، وظل بالمعتقل لمدة عامين ونصف العام، تنقل خلالها بين معتقلات طرة و أبوزعبل والقلعة والسجن الحربى، وتعرض لتعذيب قاس، ولكنه رغم كل ذلك خرج من السجن ليعود إلى وظيفته كإمام مسجد، ليُعتقل مرة ثانية ضمن اعتقالات سبتمبر ١٩٨١، بسبب معارضته لمعاهدة السلام مع إسرائيل، لكن الشيخ لم يكتف بانتقاد رموز السياسة، بل كان الشيخ الوحيد الذى يهاجم كرة القدم من فوق المنبر و يسخر من جماهيرها ونجومها رغم أن بعض محبيه - إن لم يكن أغلبهم - كانوا من مشجعى ولاعبى كرة القدم.

لكن بعد رحيل الشيخ كشك ترك أغلب المشايخ ساحة معارك السياسة وتجنبوا نقد الحاكم واعتبروه "ولى الأمر" الذى لا يجوز مخالفته ليدخلوا ساحة المعارك الرياضية، وانقسموا إلى فريقين: فريق يرى أن كرة القدم حرام شرعاً. والفريق الآخر يؤمن بأنها من الأعمال العظيمة، وفى سبيل الدفاع عن آرائهم خاض الشيوخ معارك كثيرة فى ملاعب كرة القدم أبرزها معركتان تحدثت عنهم كل وسائل الإعلام:

المعركة الأولى:"سجود اللاعبين فى الملعب.. هل جائز شرعا؟" تلك المعركة كان الوطن العربى كله مشتركاً فيها فاللاعبون يدافعون عن أنفسهم والجماهير تهاجم من يُغضب اللاعبين، و كل دولة خرج المفتى

(١) إبراهيم السايح : الدستور، فى ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٩



فيها بفتوى تتناقض مع فتوى مفتى آخر فى بلد آخر، فمفتى السعودية قال: من يريد أن يذكر الله فليذكره فى نفسه أفضل من هذا التصرف. واتفق معه مفتى إمارة " دبى " قائلا: سجود اللاعبين "باطل " لأن هذه " السجدة " غير صحيحة لعدم توافر الشروط الشرعية لإقامتها.. أما الدكتور عبد المعطى بيومى - عضو مجمع البحوث الإسلامية - فرد عليهما بقوله: سجود اللاعبين فى المباريات لا يشوبه أى حُرمة شرعاً لأن نية السجود هنا تكون شكراً لله على الهدف أو النصر وليس الصلاة.

المعركة الثانية: "هل إفطار اللاعبين أثناء المباريات المهمة فى رمضان جائز؟" تلك الفتوى يتجدد اللجوء إليها كل عام عندما يأتى موعد إقامة مباراة فى نهار رمضان، لدرجة جعلت دار الإفتاء المصرية فى أغسطس ٢٠٠٩ قبل إحدى مباريات المنتخب القومى تصدر فتوى نصها: اتفق العلماء على أنه يجوز الفطر للأجير أو صاحب المهنة الشاقة الذي يعوقه الصوم أو يُضعفه عن عمله، كما نَصَّ على ذلك في فقه الحنفية على أن من أجّر نفسه مدة معلومة -وهو متحقق هنا في عقود اللعب والاحتراف- ثم جاء رمضان وكان يتضرر بالصوم في عمله فإن له أن يُفطر وإن كان عنده ما يكفيه".. لكن الشيخ فرحات المنجي، وهو من كبار علماء الأزهر والمشرف العام السابق على مدينة البعوث الإسلامية، رفض فتوى دار الإفتاء وأفتى بعدم جواز إفطار اللاعبين في نهار رمضان، ووصف عدم صومهم بأنه "قلة أدب".

ما يحدث من جدل بين كبار العلماء حول لعبة كرة القدم يجعلنا نتذكر اللورد البريطاني والسياسى "هيدلى" حين قال" لو كان للإسلام دعاة على مستوى الإسلام.. لدان معظم الناس فى الغرب والشرق

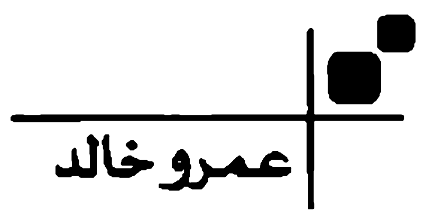
بالإسلام".. تلك العبارة التى قالها "هيدلى" الذى أسلم عندما سمع قوله تعالى" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"(١) لخصت المشكلة فى العالم الإسلامى فى كلمة واحدة هى "الدعاة"، وكأنه يعيش معنا فى هذه الأيام و لم يرحل عام ١٩٣٥ بعد أن كتب كتابه الشهير "رجل غربى يصحو فيعتنق الإسلام".

رحم الله اللورد البريطانى لأنه لو عاش معنا إلى هذه الأيام لمات كمداً لو سمع فتاوى "إرضاع الكبير" التى تجعل المرأة تُرضع زميلها فى العمل لتكون خلوته بها شرعية !

تلك الفتوى وغيرها من فتاوى "التاتو" التى تتحدث عن الوشم على الجسد، تذكرنا بما قاله شكسبير على لسان المهرج فى رائعته مسرحية "الملك لير": لقد ضاعت أرزاق أهل الفكاهة والمجون، لأن أهل العقل أنفسهم قد أصبحوا من المجانين.. خلطوا فى تصرفاتهم، وارتكبوا الأعمال الشاذة فأضحكوا الناس جميعاً".

---

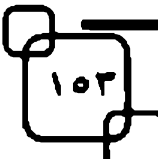
(١) الآية ٢٤، سورة محمد



عمرو خالد

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".. وأضاف الإمام أحمد بن حنبل قوله: فنظرنا فى المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا فى المائة الثانية فنراه الإمام الشافعى. لكن عندما نظر الناس فى المائة الرابعة عشرة فى القرن الواحد والعشرين، بعد وفاة الشيخ محمد متولى الشعراوى – فى صيف ١٩٩٨ – وجدوا أن الساحة الدينية خالية تبحث عن داعية جديد، فبدأوا يبحثون عنه، مرة يوجهون أنظارهم للشيخ محمد حسين يعقوب ويسمعون أشهر شرائطه "تارك الصلاة". وأخرى يوجهون أنظارهم للشيخ عمر عبد الكافى ويسمعون مجموعته الشهيرة"الدار الآخرة". ومرة ثالثة يوجهون أنظارهم إلى الشيخ وجدى غنيم بطريقته الساخرة وعلمه الواسع.

إلى أن ظهر فى نادى الصيد داعية شاب يدعى "عمرو خالد" فى



حفل عيد ميلاد أبن أحد أصدقائه، وطلب عمرو من الحاضرين أن يلقى كلمة لتهنئة صاحب عيد الميلاد، فتكلم يومها عن المناسبات الاجتماعية وطلب من المحتفلين أن يجعلوا احتفالاتهم فى خدمة الإسلام، وبعد انتهاء كلمته طالبه بعض الحاضرين بلقاء أسبوعى يشرح لهم فيه أمور الدين ويجيب عن أسئلتهم.

تعددت اللقاءات وزاد الإقبال على دروس عمرو خالد مما تسبب فى منعه من إلقاء المحاضرات فى نادى الصيد لكنه لم يتوقف عن الدعوة، فأثناء أحد دروسه التقى ياسمين الخيام الفنانة المعتزلة وابنة الشيخ الحصرى ودعته للخطابة فى مسجد الحصرى فى مدينة السادس من أكتوبر (قبل أن تصبح محافظة مستقلة عن القاهرة) وفى نفس الوقت قابل عمرو أحد رجال الأعمال الذى دعاه لإلقاء دروسه فى مارينا، لكن النقلة الكبرى فى حياة عمرو خالد حدثت عندما وصل إلى مسجد "المغفرة" بالعجوزة لينتقل منه إلى الحديث عبر شاشة التليفزيون المصرى.

عمرو خالد داعية صنعه الناس ليملأ الفراغ الذى تركه إمام الدعاة الشعراوى، وإن كان يختلف كثيرا فى الشكل والمضمون عن الشعراوى، فعمرو يهتم بمظهره ويحلق ذقنه، ويهذب شاربه، ولا يرتدى الجلباب، بل يحرص على أن يظهر بالبذلة والكارفات مما جعله الأقرب من قلب الشباب وتحديداً طلاب الجامعات الذين تأثروا به وصاروا خلفه، وكانت معهم مجموعة من الفنانات المعتزلات مثل سهير البابلى وياسمين الخيام، علاوة على بعض لاعبى كرة القدم أمثال نادر السيد وهادى خشبة.

إقبال لاعبى كرة القدم عليه كان منطقياً، خاصة أنه كان يلعب فى فريق الناشئين بالنادى الأهلى وينتمى لعائلة من الأعضاء القدامى بالنادي

ولعب بفريق تحت ١٦ سنة و كان يدربه الكابتن محسن صالح بعد اعتزاله كرة القدم وكانت تربطه علاقات ود وصداقة مع نجوم الكرة القدامى والجدد، وكان يمكن أن يستمر في مشواره كلاعب بالأهلي، حتى الفريق الأول إلا أن والده طلب منه عندما كان في الثانوية العامة التركيز وخيره بين ممارسة الرياضة كشبه محترف أو الدراسة ففضل الدراسة.

ومع ذلك استمرت علاقته بكرة القدم حتى الآن، ولا يمر أسبوع إلا ويلعب مباراة ودية مع أصدقائه، ويحرص على متابعة آخر الأخبار الرياضية لاقتناعه التام بأن الرياضة جزء من الدين، فقام بتشجيع السبّاحة رانيا علواني بعد اعتزالها على ألا تترك الرياضة وأن تتجه لممارسة رياضة التجديف، حيث يمكنها أن تؤدي هذه الرياضة بالحجاب وتستطيع أن تحقق إنجازاً جديداً لبلدها ضمن رسالتها كامرأة.

ظاهرة عمرو خالد أفرزت ظاهرة جديدة هي ظاهرة الدعاة الجدد أمثال خالد الجندى ومصطفى حسنى ومعز مسعود الذين يسيرون على دربه - وإن اختلفوا معه- ويتخذون طريقته منهاجاً، لكن تأثيرهم تجاوز الساحة الدينية ووصل إلى ملاعب كرة القدم التى يبدو أنها كانت تبحث عن غطاء شرعى، وفى الوقت نفسه كان الدعاة يبحثون عن جمهور يتواصل معهم ويتفاعل مع دعوتهم. هنا التقى الجمعان، اللاعبون والمشايخ، فأصبحنا نرى المعلق الرياضى يقول بعد فوز المنتخب المصرى بكأس الأمم الإفريقية (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)، بل إننا بعد أن كنا نطلق على المنتخب القومى لقب منتخب الفراعنة أصبحنا نسميه "منتخب الساجدين"، وأصبحنا نطلق على اللاعبين لقب شيوخ، الذى ارتبط لأول مرة بلاعب من جيل الستينيات هو طه إسماعيل الذى

لقب بالشيخ،عندما رفض أن يفطر مثل باقى اللاعبين أثناء مباراة الأهلى والترسانة في شهر رمضان فعاقبه المدير الفنى بعدم اللعب وعندما اشترك أحرز هدف الفوز للأهلي.

لكن لم يكن هناك لاعب آخر بين أفراد هذا الجيل – رغم كثرة أصحاب الأخلاق الرفيعة فيه – من يطلق عليه لقب شيخ لكن بعد انتشار ظاهرة الدعاة الجدد، أصبح كل اللاعبين شيوخاً، فلدينا الشيخ محمد أبوتريكة الذى رفض الجلوس مع المطربة نانسى عجرم فى حفل تكريم المنتخب بعد حصوله على بطولة إفريقيا عام ٢٠٠٨، والشيخ أحمد حسن الذى يقوم كل عام بتكريم حفظة القرآن الكريم فى محافظة المنيا، والشيخ أسامة حسنى أول لاعب كرة يسجل شريط قرآن بصوته، والشيخ محمد حمص الذى يحفظ نصف القرآن الكريم ويعتبر أحد أئمة المنتخب القومى فى الصلاة.. هؤلاء اللاعبون الشيوخ من أقرب النجوم إلى قلب الجماهير التى تؤمن بأن الفوز بالبطولات يأتي بالدعاء، وأن كل لاعب يحرز هدفا فى مباراة مهمة يكون "قريباً من ربنا" وله كرامات.

وأصبح للجمهور المصرى دعاء ثابتاً يردده ليلة المباراة هو "اللهم وفق عصام الحضرى كما وفقته فى مباراة إيطاليا واجعل دفاعنا معه لا عليه.. وارزق هانى سعيد الطول الذى يفتقده فى الكرات العالية.. وامنح محمود فتح الله صلابة غير قابلة للكسر.. وذكر عبد الظاهر السقا بهجوم المنافس واجعله لا ينام فى الملعب.. اللهم افتح طريق الأجناب على مصراعيه أمام سيد معوض وأحمد فتحي واجعلهم لا يخطئون فى التمريرات ويجيدون "الرفعات".. و اجعل محمد شوقى يتذكر مباراة البرازيل.. اللهم إن كان لنا نصيب فى "حمص" فاجعله كثيراً.. وأعد إلينا حسنى

عبد ربه ولو في جزء من المباراة.. ووفق محمد أبوتريكة توفيقه أمام محمد عبد المنصف في مباريات الزمالك.. واجعل في طريق محمد زيدان دائماً "سونج لاعب الكاميرون".. وارزق أحمد حسن قدراته وهو صائم في مباراة رواندا.. وأعط محمد بركات المساحات الواسعة التي كان يتيحها له محمد أبو العلا.. ويسر طريق عمرو زكي ولا تجعل حظه مع المنتخب مثل حظه مع الزمالك يا كريم.. اللهم اجعل عماد متعب يستحق حب حسن شحاتة له.. واجعل حظ حسن شحاتة كما هو.. اللهم ارزق حارس المنافس توفيق "عبد المنصف" في مباراة الستة الشهيرة.. و اجعل لنا في كل هجمة فاول على حدود منطقة الـ ١٨.. اللهم إن كان لاعبو المنافس يريدون إضاعة الوقت فاجعل كل دقيقة يضيعونها بهدف في مرماهم.. وأخيراً ابسطها يا باسط في مرمى المنافس".

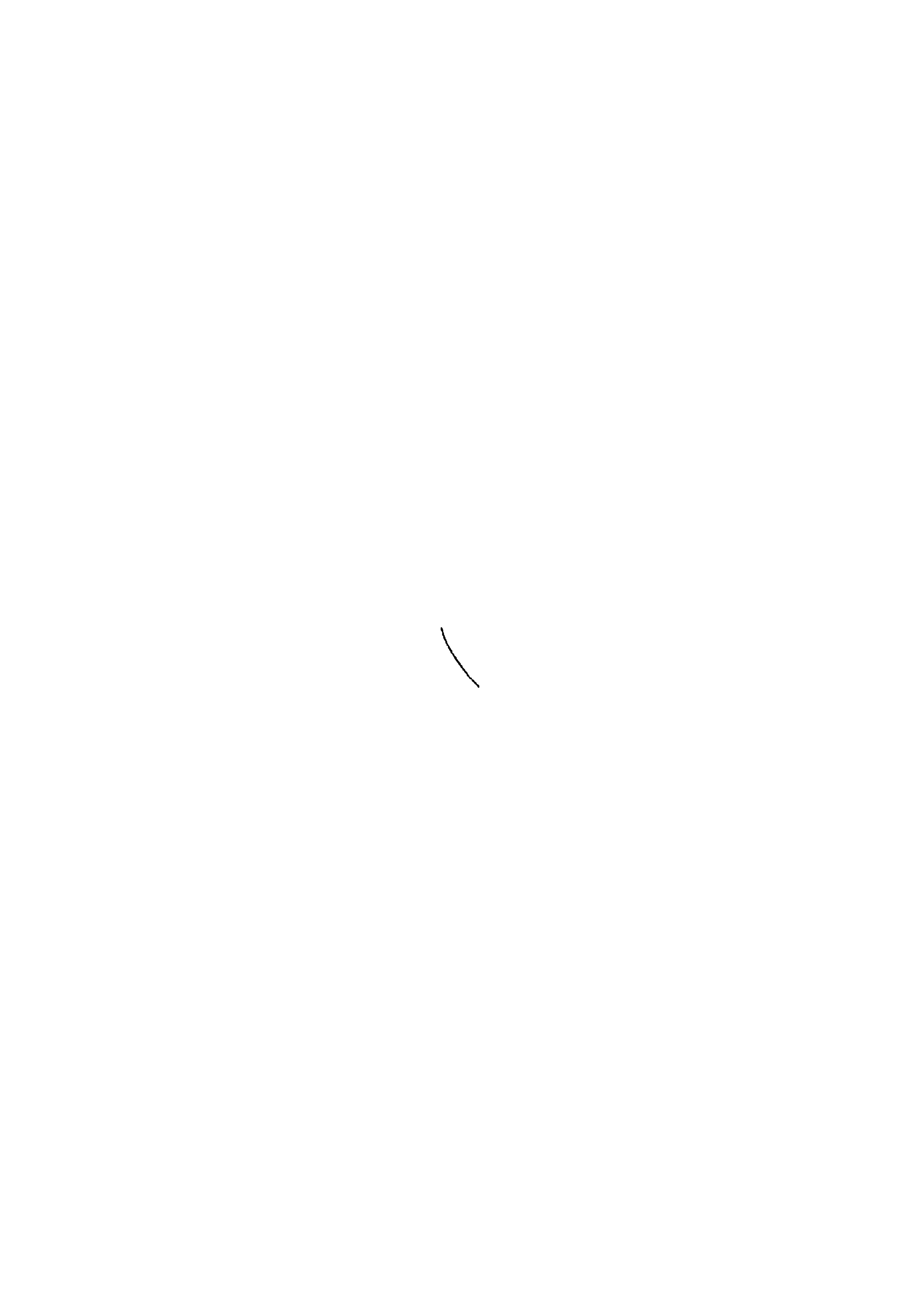
الغريب أنه في ظل انتشار ظاهرة الدعاة الجدد والقنوات الفضائية الدينية وكثرة المشايخ والفتاوى والأدعية الكروية، أصدر مجمع البحوث الإسلامية فتواه بأن الجدار الفولاذي الذي تقيمه مصر على الحدود مع غزة لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية، مشدداً على حق مصر الشرعي في أن تقيم على أراضيها من المنشآت والسدود ما يصون أمنها وحدودها وحقوقها، وأكد محمود حمدي زقزوق – وزير الأوقاف – صحة الفتوى، مؤكدا حق مصر في تأمين حدودها "بأي شكل تراه "وأضاف: إن من الحقوق الشرعية لمصر أن تضع الحواجز التي تمنع ضرر الأنفاق التي أقيمت تحت أرض رفح المصرية، وهذه الأنفاق تهرب منها المخدرات وغيرها مما يزعزع أمن البلاد ويهدد مصالحها تهديداً لا مفر من مقاومته".

هذه الفتوى تجعلنا نفهم ما قاله جاهين:
عبثا بقول وأقرا في سورة عبس
ماتلومش حد إن ابتسم أو عبث
فيه ناس تقول الهزل يطلع جد
وناس تقول الجد يطلع عبث
عجبي!

الفصل السادس

هناك من يصنعون المال.. ومن يصنعهم المال.. وبين هذا وذاك فقراء يشاهدون الفريقين

الدكتور أكرم زيدان



كيف تصبح مليونيراً ؟

إذا أردت أن تصبح مليونيراً فى مصر التى يعيش نصف سكانها تحت خط الفقر والنصف الآخر بجوار الخط، وعدد محدود جداً يملك الثروات والنفوذ، فأمامك أحد طريقين: الأول أن تذهب إلى أحد البنوك وتحصل على قرض بعشرة ملايين جنيه وتهرب به إلى الخارج.. والثانى أن تنشر شائعة أن نادى الزمالك يفاوضك، ووقتها ستعرض عليك كل الأندية الانضمام إليها، وستحصل على الملايين التى تحلم بها. والطريق الثانى أسهل وأسرع، ويضمن لك أن تتحول إلى بطل قومى ومثل أعلى لكل الشباب الذين تخرجوا فى كليات الطب والهندسة لأنه لم تعد هناك قيمة فى المجتمع تفوق قيمة "الفلوس" ولاعب الكرة هو الوحيد بين أصحاب الثروات فى مصر الذى يشعر الناس بأحقيته فى أن يكون مليونيراً طالما ظل يسعدهم.

لكن فى الوقت نفسه، نجد أن مدير عام فى وزارة الشئون الاجتماعية، بدأ عمله كخريج جامعى حديث فى عام ١٩٧٧ براتب شامل بلغ نحو ٢٨,٥ جنيه كانت تشترى وقتها نحو ٣٥ كيلو جراماً من اللحم البلدى فى أحياء القاهرة.

وبعد ٢٨ سنة من العمل أصبح مديراً عاماً فى سنة ٢٠٠٥ وأصبح راتبه الأساسى ٤٣٣ جنيهاً وراتبه الشامل ٥٤٠ جنيهاً وهى تشترى نحو ١٨ كيلو من اللحم فقط، أى أن القدرة الشرائية لديه تدهورت رغم سنوات العمل والخبرة الطويلة؛ إذ من المفترض أن يقوم نظام الرواتب والأجور على قاعدة الدفع مقابل العمل، وأن يكون الراتب الأساسى هو الدخل الرئيسى للموظف أو العامل وألا تتجاوزه كل الدخول الإضافية وذلك لتدعيم استقلالية الموظف أو العامل وولائه لعمله ومؤسسته وليس لرئيسه، ولابد أن يكون الأجر كافياً لحياة كريمة.

لكن من المستحيل أن يكفل راتب موظف حكومة - أياً كانت درجته - حياة كريمة له ولأسرته، فالأجر الشهرى لموظف الدرجة السادسة فى الجهاز الحكومى يبدأ من ٢٠ إلى ٤٥ جنيهاً، وعلاوته الدورية بين ١,٥ و ٢ جنيه، ويرتفع الأجر فى القطاع العام فى نفس الدرجة إلى ما يتراوح بين ٣٥ و ٦٧ جنيهاً. أما خريج الجامعة من حملة المؤهلات العليا فإن راتبه الأساسى هو ٣٣ جنيهاً فى بداية مربوط الدرجة الثالثة - التى يعينون عليها - وينتهى عند ١١٢ جنيهاً شهرياً بحد أقصى ١٦٠٨ جنيهات سنوياً وعلاوة دورية ٤ جنيهات سنوياً، فى حين أن الراتب الأساسى لوكيل أول الوزارة الذى يعمل فى الجهاز الحكومى يبلغ ١٨١ جنيهاً و ٢٥ قرشاً فقط ولا يحصل على أى علاوات دورية، ويبلغ الراتب

الأساسى لنظيره فى القطاع العام نحو ٢١٧ جنيهاً فقط.(١)

وعلى الجانب الآخر، فإن المتابع لما يجرى فى العشرين عاماً الماضية فى ساحة كرة القدم يجد أن أسعار اللاعبين قبل دخول نظام الاحتراف بعد كأس العالم ١٩٩٠ تضاعفت بشكل لا مثيل له. ففي أغسطس ١٩٩٣ كانت جماهير كرة القدم تتحدث عن صفقة القرن، عندما انتقل رضا عبد العال لاعب نادى الزمالك مقابل ٦٥٠ ألف جنيه إلى النادى الأهلى، فى الوقت الذى كان فيه سعر أغلى لاعب لا يتجاوز المائة ألف جنيه، لكن بسرعة مذهلة ارتفعت أسعار اللاعبين، لتصل قيمة الصفقات الجديدة في الدوري المصري بأنديته الـ١٤ فى صيف ٢٠٠٥ إلى ما يقرب من ٨٠ مليون جنيه، بخلاف قيمة عقود اللاعبين المستمرين مع أنديتهم، والتي إذا أضيفت لتكلفة الدوري هذا الموسم، ستتخطى حاجز الـ١٥٠ مليون جنيه. وقد احتل نادي الزمالك المركز الأول بعد منافسة شرسة مع غريمه التقليدي الأهلي في موسم "البزنس" الكروي المعروف بموسم الانتقالات، بعد أن ضم ١١ لاعبا بأكثر من ٢٥ مليون جنيه، وجاء النادي الأهلي في المركز الثاني بأكثر من ٢١ مليون جنيه لخمسة لاعبين فقط، ثم جاء من بعيد النادي الإسماعيلي في المركز الثالث بـ٩ ملايين جنيه، وتوالت بعدها بقية أندية الدوري الممتاز.

كرة القدم فى أغلب دول العالم مصدر للثراء لكن عندنا المسألة مختلفة، فاللعبة التى يتابعها ٨٠ مليون مصرى قفز عليها واستغلها كل من يريد تحقيق نفوذ أو ثروة أو إخفاء نفسه أو خلق صورة ذهنية هدفها الترويج

(١) أحمد السيد النجار : الانهيار الاقتصادى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ص ١٢٠

له. من هنا أصبح للعبة سطوة، وتحول الرياضى الذى كان منذ ثلاثين أو أربعين عاماً يطرد من اللعب ويحرم من الاشتراك فى المسابقات إذا ثبت أنه يتكسب من الرياضة - على حد وصف الدكتور جلال امين- إلى مليونير ومليارديرٍ فى بعض الأحيان، هذا بجانب التعامل معه فى وسائل الإعلام باعتباره بطلاً قومياً. ومع زيادة أعداد الصحف والقنوات الفضائية العامة والمتخصصة فى الرياضة أصبح اللاعب سلعة الكل يروج لها - برعاية الدولة - من أجل أن يكسب شعبية من خلالها.

من هذا الباب دخل رجال الأعمال إلى كرة القدم وأصبحوا مؤثرين فيها بل أصبحوا يملكون زمام الأمور سواء بعقدهم صفقات مع اللاعبين أو بالحصول على حق رعاية الفريق أو حتى عن طريق تسويق منتجاتهم، لكن تاريخ دخول رجال الأعمال إلى الساحة الرياضية يعود إلى اثنين من كبار الاقتصاديين فى مصر هما أحمد عبود - الرئيس السابق للنادى الأهلى فى الفترة من فبراير ١٩٤٦ وحتى ديسمبر ١٩٦١- وتعتبر هذه الفترة من أفضل الفترات فى تاريخ النادى؛ حيث أسهم عبود بأمواله فى عمليات التشييد والبناء والتطوير، وفى ظل رئاسته تحققت بطولات وإنجازات، وكان هذا الرجل صاحب فكرة الاستعانة بالمدربين الأجانب. ففى عام ١٩٥٥ تعاقد مع المدرب "فرتز" الذى كان يتكفل بدفع الراتب المتفق عليه والذى كان حده الأقصى مائة جنيه.

لكن أحمد عبود لم يكن من الباحثين عن الشهرة و لم يستثمر الكرة لتحقيق مكاسب شخصية له، خاصة أن شعبيتها لم تكن طاغية - حينها - لدرجة التبرع لها. ونفس ما فعله عبود، فعله عبد اللطيف أبورجيلة الذى تولى رئاسة نادى الزمالك عام ١٩٥٩ وأعلن وقتها أن المقر الجديد

للنادى فى ميت عقبة سينتهى خلال العام نفسه، وأن سعة المدرجات فى المرحلة الأولى قادرة على استيعاب ثلاثين ألف متفرج على أن تصل طاقتها الاستيعابية فى المرحلة الثانية إلى خمسين ألف متفرج (وهو نفس الكلام الذى يقال فى انتخابات الزمالك حتى هذه اللحظة).

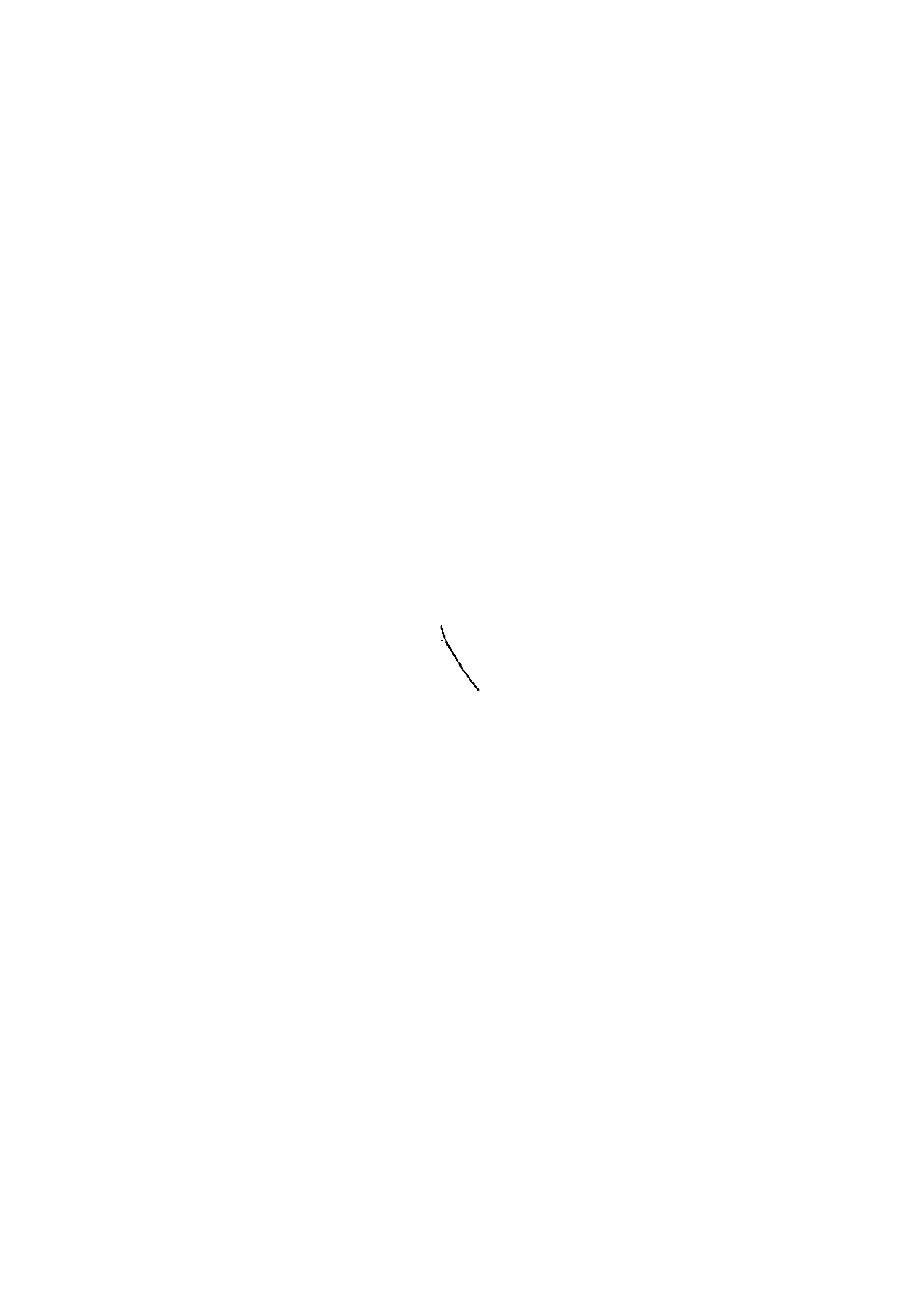
عبد اللطيف أبورجيلة كان يملك أسطولاً من سيارات الأتوبيس و لم يكن فى حاجة إلى شهرة بل إنه كان يقول عن كرة القدم "الكرة هى أهم شيء فى حياتى.. ولا أعتقد أن الأندية الرياضية فى مصر بالنظر إلى دخولها وحصيلتها المتواضعة من اشتراكات أعضائها، تستطيع القيام بالتزاماتها المالية دون الإعانة التى تساعدها بها الحكومة ". لذلك كان أبورجيلة يقوم بدفع مكافآت اللاعبين من ماله الخاص.

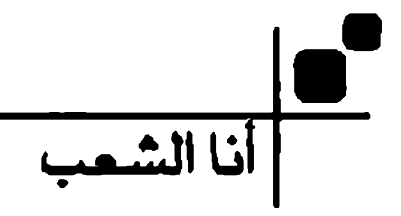
عبود و أبورجيلة اختفيا فى عصر أصبحت فيه كرة القدم سلعة الكل يتنافس عليها من أجل الشهرة، وظهرت أسماء أخرى مثل ممدوح عباس الذى أصبح رئيسا بالانتخاب – بعد ثلاث سنوات من تعيينه – لنادي الزمالك فى عام ٢٠٠٩ بعد أن كان على مدار أكثر من ثلاثين عاماً مجرد مشجع يجلس مع الجماهير وتستعين به إدارة الزمالك عند حاجتها لتمويل إحدى صفقات اللاعبين، لكن فى عصر تسيده رأس المال وانخفضت فيه رؤوس الرجال، كان بديهياً أن يظهر على السطح بأمواله ويطرح نفسه باعتباره الحل لكل الأزمات المالية التى تواجه النادى، خاصة أن من يتنافسون معه لا هدف لهم سوى الاستفادة من شعبية النادى فى تحقيق مصالحهم، لنجد أن أحد رؤساء الزمالك دخل النادى فى أول عهده بسيارة صغيرة ١٢٨ وعندما غادر موقع الرئاسة أصبحت لديه سيارة مرسيدس.

دور رجال الأعمال فى ناديي الأهلى والزمالك مؤثر لدرجة أنه لا يمكن أن يسير النادى بدونهم، والدليل على ذلك ما حدث للنادى الأهلى صاحب الميزانية الأكبر فى مصر عندما تركه رجل الأعمال ياسين منصور – صاحب توكيلات عدد كبير من السيارات و سلسلة مترو و مياه الحياة، ورئيس شركة بالم هيلز للتنمية العقارية –هذا الرجل كان يقوم بتمويل أغلب صفقات الأهلى – من اللاعبين– بل ويدفع راتب المدرب الأجنبى الذى يصل إلى نصف مليون جنيه شهريا مقابل أن يكون عضواً بمجلس إدارة النادى بالتعيين، لكن بمجرد أن اختلف مع إدارة النادى وتركهم عانى النادى (الذى كان يعلن عن فائض ٧٦ مليون فى ميزانيته) من أزمة مالية جعلته لا يستطيع التعاقد مع لاعبين جدد أو حتى مدرب أجنبى، وحاول النادى الأهلى ملء الفراغ الذى تركه ياسين منصور الشهير "بمنصور شيفورليه" بتعيين اثنين من كبار رجال الأعمال ليقوما بدوره هما صفوان ثابت – رئيس غرفة الصناعات الغذائية باتحاد الصناعات وصاحب شركة جهينة للصناعات الغذائية – وإبراهيم صالح الذى يترأس مجلس إدارة نحو ٣٥ شركة من الشركات الكبرى الصناعية والسياحية فى مصر و لبنان وسوريا والكويت وتنزانيا وجامبيا والأردن.

من هنا يتضح أن رجال الأعمال أصبحوا يتحكمون فى الأندية بأموالهم ولا سبيل للاستغناء عن خدماتهم بعد أن أصبحت كرة القدم صناعة ومصدراً للوجاهة الاجتماعية بل أيضا لصناعة الشعبية، والدليل على ذلك ما قام به المهندس أحمد عز – رئيس لجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب وصاحب أكبر مصانع للحديد فى مصر والصديق الأقرب للسيد جمال مبارك نجل الرئيس– عندما قام بتأجير طائرة خاصة لنقل

مشجعي المنتخب القومى (من أعضاء الحزب الوطنى) إلى السودان لمشاهدة مباراة مصر والجزائر فى تصفيات كأس العالم. ونفس الشىء فعله محمد أبوالعينين - عضو مجلس الشعب ورجل الأعمال - الذى لم يكتف بتجهيز طائرة لنقل المشجعين في المباريات المهمة، لكنه أيضاً كان يبادر بدفع مكافآت اللاعبين لدرجة أنه قام بإعطاء عصام الحضرى - حارس مرمى المنتخب -مائة ألف جنيه بعد بطولة كأس الأمم الإفريقية عام ٢٠٠٨ لنجاحه فى التصدى لتسديدة صعبة من مهاجم منتخب الكوديفوار "درورجبا" !!





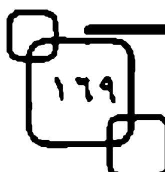
أنا الشعب

إننا نشهد فناً جديداً لأول مرة في التاريخ، وهو فن المسرحة دون مسرحية، فنحن أمام مشاهد مرسومة في خلفية المسرح وأصوات وأضواء وألوان وموسيقى تدق وستار يُرفع وينزل كل هذا بدون نص(١) ، فلا عجب أن تجد مذيعاً يسبق اسمه لقب دكتور ويصف شعباً شقيقاً "بشعب لقيط".. وفي الوقت نفسه تجد مذيعاً آخر يتكلم مثل يونس شلبي في مسرحية "العيال كبرت" ويعتبر نفسه أحد صناع البرامج الرياضية.. وثالثاً يقارن نفسه بأساتذة الإعلام في الوطن العربي.. ورابع يصر على أنه يملك الحقيقة المطلقة والأرقام غير القابلة للنقاش.

لكن الحقيقة أن كل وسائل الإعلام في مصر تعمل وفق نظرية "الأجندة" تلك النظرية ملخصها أن وسائل الإعلام الجماهيرية تفرض على الجمهور

---

(١) د / محمود فوزي، رئيس وزراء مصر الأسبق واصفاً عصر الرئيس السادات



القضايا التى يفكر فيها، والتى يجب أن يعتبرها مهمة، وتهمل قضايا أخرى عن طريق اختيار المذيعين، وضيوف البرامج خاصة، وأن أغلب وسائل الإعلام تملكها الدولة أو رجال الأعمال الذين يعملون معها، وبالتالى فلا مجال للحياد الذى يعتبر أحد أهم الأساطير المؤسسة للتضليل الإعلامى – مثلما أكد هربرت شيللر – لأنه لكى يكون التضليل ناجحاً لابد أن يشعر المضللون بأن كل شيء على طبيعته وأن يؤمن الشعب الذى يجرى تضليله بحياد مؤسساته.

هنا كان مهماً أن يصبح " اللاعب " إعلامياً كبيراً، وبعد أن يعتزل كرة القدم

يعمل فى تقديم البرامج الرياضية، وكان الأبرز فى هذا المجال هو أحمد شوبير؛ فبعد أن ترك الملعب في عام ١٩٩٦، اتجه للتعليق على مباريات كرة القدم بأجر ٧٥ جنيهاً، وهو الأجر الرسمي الذي ظل جميع المعلقين يتقاضونه حتى عام ٢٠٠٥، ثم بدأ رحلته مع الإعلام في القناة السادسة – المحلية – فى برنامج "مرحبا"، وكان يحصل على ٥٠ جنيهاً فى الحلقة، وبعدها عمل كمراسل لقناة أوربت ثم انتقل لقناة دريم التى كانت بوابته نحو الشهرة (كإعلامى) والمال والنفوذ.

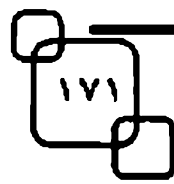
بدأ العمل فى دريم بمقابل ١٠٠٠ جنيه يتقاضها عن برنامج أسبوعي هو "الكرة مع دريم" ثم ارتفع راتبه مع تقديمه برنامجاً رياضيا يومياً هو "الرياضة اليوم"، ثم ذهب لتقديم الفقرة الرياضية لبرنامج البيت بيتك في التليفزيون المصري لكنه ترك الفقرة القصيرة التى لا تناسب قدراته على الجلوس أمام الكاميرا لست ساعات متصلة، ليتجه إلى قناة الحياة بأكبر أجر يحصل عليه إعلامى رياضى فى مصر وهو أربعة ملايين جنيه فى السنة،هذا بجانب تقديمه لبرنامج يومي خلال شهر رمضان عبر

شبكة إذاعة الشباب والرياضة المصرية يحمل اسم " شوبير مع النجوم " وهو برنامج يومي مدته ثلاث ساعات على الهواء ويحصل منه على ٤٠٠ ألف جنيه، بالإضافة إلى عمله الأساسي بإدارة الإعلانات بجريدة "الأهرام"..!

قدرات شوبير الاستثنائية جعلته يجمع بين كل هذه البرامج، وفى الوقت نفسه يصبح عضواً فى مجلس الشعب عن مدينة طنطا – بعد فشله في الحصول على مقعد فى مجلس الشورى– وعضواً فى الحزب الحاكم ولجنة أمانة السياسات التى يرأسها نجل الرئيس، وذلك من أجل أن يصنع لنفسه كياناً سياسياً ويضمن له كل أنواع الحصانات.

شوبير لم يكن أول من اتجه للإعلام الرياضى فقد سبقه إليه العديد من نجوم الكرة القدامى لكنهم كمذيعين يجب أن تُدرس أخطاؤهم في كلية الإعلام – إذا أردنا أن ينصلح حال الإعلام الرياضي – فهم يعيدون السؤال علي ضيوفهم "بدل المرة عشرة" في نفس الحوار ويظنون أن كل خبر يعد "انفراداً" ويرددون مصطلحات لا يعرفون معناها، فيتصورون أن كلمة البربر تعني الهمج رغم أنها جذور القائد الإسلامي طارق بن زياد ليذكرونا بمسرحية "المتزوجون" عندما سأل جورج سيدهم (حنفى)، نجاح الموجى (مزيكا).. تعرف إيه عن السياسة يا واد يا مزيكا ؟ فرد عليه: أنا الشعب.. فسأله تعرف إيه عن سياسة الوفاق؟ فرد عليه: يا بخت من وفق راسين فى الحلال!!

هذه هي المشكلة الحقيقية؛ فالغالبية العظمى ممن يعملون بالبرامج الرياضية لم يتعلموا قواعد الإعلام، والفرق بينه وبين الإعلان ولا يدركون أنهم مجرد أداة فى أيدى الدولة، ورجال الأعمال يوجهونهم



كيفما شاءوا وبالتالى فمن الطبيعى أن يصبح مدحت شلبى – لواء شرطة على المعاش – أحد أهم مقدمى البرامج الرياضية و يصل دخله السنوي إلى ٣,٥ملايين جنيه نظير تقديمه أكثر من برنامج، هذا بجانب عمله كمدير للعلاقات العامة والإعلام في الاتحاد المصري لكرة القدم. ومن البديهى أن نجد أغلب اللاعبين السابقين من كبار الإعلاميين، ويفتون فى السياسة ويطالبون بقطع العلاقات بين الدول ودفع الجماهير للتظاهر أمام السفارات العربية وتتحول الجزائر البلد العربى – بسبب لعب الكرة– من بلد المليون شهيد إلى بلد المليون بلطجى، ونجد كل وسائل الإعلام تتسابق فيما بينها لسب كل ما يمت للجزائر بصلة، فى الوقت الذى كان العدو الإسرائيلى يهدم عشرات المنازل الفلسطينية ويقتحم المسجد الأقصى ويضم الحرم الإبراهيمي ومسجد الصحابى الجليل بلال بن رباح بالضفة الغربية المحتلة إلى قائمة المواقع الأثرية اليهودية.

تلك الواقعة تؤكد أن وسائل الإعلام "تلعب فى العقول" مثلما يلعب اللاعبون الذين يجيدون المراوغة فى ملاعب الكرة، فعندما يكثر رجال الأعمال والهتيفة والمصفقاتية فى أى مكان لابد أن نترك تحرير الأقصى ونتفرغ لتحليل المباريات تحت شعار "ابحث عن السبوبة". والسبوبة مصطلح حديث يعبر عن القيام بعمل ضعيف في أقل وقت ممكن مقابل أجر مادي ضخم، وللأسف ساد هذا المصطلح فى الإعلام المصرى، بل أصبح له مترادفات أخرى مثل "نحتاية" و"تظبيطة" و"قلبة وقومة" وأصبح المال هو الحاكم بأمره، وتحول الإعلامى إلى إعلانى والرجل الذى كان يقول إن الإعلام هو أكبر عناصر الفساد فى الرياضة المصرية وأنه تسبب فى ظهور مجموعة من الإعلاميين غير المؤهلين للعمل الإعلامى ولا يتمتعون بأبسط قواعد الحفاظ على الروح الرياضية، هو

نفسه أصبح يسب كل من يختلف معه فيصف الحكام – الذين يحصلون على راتب لا يتجاوز الألف جنيه شهرياً– بالمرتشين وحاملى الحقائب فى الوقت الذى يتقاضى فيه راتباً شهرياً يتجاوز ٨٠ ألف جنيه بجانب تعاقده مع إحدى الوكالات الإعلانية الخاصة، وينسى أن أبشع صور الظلم الاجتماعى هو أن تجد من يحتاجون إلى المال ولا يجدونه ومن يجدونه ولا يحتاجون إليه.

الناس يشاهدون ويسمعون الأرقام الضخمة التى يحصل عليها اللاعبون، ومقدمو البرامج، فى الوقت الذى يصدر فيه تقرير لهيئة الطرق والكبارى يؤكد تدهور حالة ٧٢ كوبرى و٣٧ نفقاً فى القاهرة وحدها ولا توجد ميزانيات لصيانتها، هذا علاوة على أن ٥٦٪ من أسطول النقل العام قد انتهي عمره الافتراضي، لكن رجال الأعمال لايعرفون الأتوبيسات ولا تعنيهم الكبارى لأنهم يركبون الطائرات، وما يعنيهم هو الاستثمارات، وبعد أن كانوا يقومون بإنشاء شركات توظيف الأموال التى ظهرت فى أواسط الثمانينيات " ١٩٨٥ –١٩٨٨ " و حظيت بإقبال جماهيرى واسع لأنها كانت تقدم معدلاً للعائد يصل إلى ٢٥٪، كما كانت تدعى العمل وفق قواعد الشريعة الإسلامية فى استثمار الأموال.. أصبحوا يتجهون إلى إنشاء الشركات الإعلامية لتوظيف أموالهم لتخفيض الضرائب التى يدفعونها للدولة، بالإضافة إلى استغلال ارتفاع نسب مشاهدة البرامج الرياضية لترويج منتجاتهم حتى لو كانت منشطات جنسية. فلغة الاستثمار، أو بمعنى أدق الاستغلال، تطرقت لكل شيء و على رأسها صناعة كرة القدم.. الصناعة الوحيدة التى تتطور فى مصر، فبعد دخول الإعلانات أرض الملعب وتصدرها فانلات اللاعبين أصبحت تتدخل فى عقود اللاعبين مع الأندية، بل

أصبحنا نجد في كل مباراة مهمة سوقاً سوداء للتذاكر يتم فيها بيع التذكرة المسعرة بعشرة جنيهات بمائة جنيه. ونفس الشيء بالنسبة للأعلام التي تضاعف سعرها بصورة غير مسبوقة، هذا بجانب ابتداع مهنة جديدة هي "سماسرة اللاعبين" الذين يسهلون احترافهم، وهؤلاء يحصلون على نسبة ثابتة من عقود اللاعبين، والغريب أن عددهم تجاوز أعداد اللاعبين المحترفين في الخارج لذلك هم لا يفعلون شيئاً سوى الترويج للاعبين في الداخل والوقيعة بين الأندية الكبيرة لتحقيق أكبر عائد مادى ممكن من بيع اللاعبين.

السماسرة موجودون في كل مكان في العالم، وكذلك رجال الأعمال الذين يستثمرون أموالهم في الرياضة بل إن ميزانية بعض الأندية في أوروبا تجاوز ميزانية بعض دول العالم الثالث لدرجة جعلت الإعلام الأمريكي - أثناء الأزمة المالية العالمية - يهاجم شركة AIG الراعى الرئيسي لنادى مانشستر يونايتد الإنجليزى الذى يسمى «نادى الحكومة الأمريكية» أو «طفلنا المدلل ذو المليار دولار!» لأن وزارة الخزانة الأمريكية تمتلك ٨٠٪ من أسهم الشركة الراعية له، وبالتالى فأموالها من حق دافع الضرائب الأمريكي، وليس من المنطقى أن يدفع المواطن الأمريكى مئات الدولارات من قوته حتى يتمكن كريستيانو رونالدو من شراء «جيل» لشعره! - على حد وصف الصحف الأمريكية.

لكن الفرق بين كرة القدم عندنا وعندهم أنهم يعتبرونها جزءاً من نجاحاتهم فى بقية المجالات، ولا يجعلونها تلهيهم عن أهدافهم الرئيسية، وإنما عندنا الكرة تمثل كل شيء، وهنا تكمن الخطورة.

إحنا شعبين

لم يلتقيا يوماً، و لم تنشأ بينهما أية علاقة، فالأول ولد في كفر أحمد عبده بمحافظة السويس في ٢١ من فبراير ١٩٤٥ . والثاني ولد في حوش عيسى بمحافظة البحيرة في ٣٠ من أكتوبر عام ١٩٨٤.

الأول هو عبدالمنعم قناوى أحد أبطال حرب أكتوبر ١٩٧٣ والثاني هو محمد ناجي جدو هداف منتخب مصر في كأس الأمم الإفريقية عام ٢٠١٠.

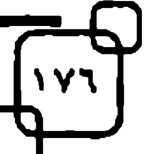
للوهلة الأولى تظن أن بطل حرب أكتوبر لا يجمعه شيء بهداف إفريقيا لكن عندما تدقق النظر تجد أنهما صورة حية لبلد بكامله.

البطل عبد المنعم قناوى التحق بمنظمة سيناء العربية بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وشارك في العديد من العمليات الفدائية التي كانت تتم خلف خطوط العدو الإسرائيلي في منطقة شرق قناة السويس، وكانت أهمها عملية "وضح النهار" التي تم تنفيذها يوم الأربعاء الخامس من نوفمبر عام

١٩٦٩- خلال حرب الاستنزاف - وكان الهدف منها عبور القناة ومهاجمة دورية إسرائيلية، وهو ما حدث بالفعل، وتم تدمير عربيتين "نص جنزير" ودبابة، وأسر أحد أفراد الدورية وارتفع العلم المصرى لأول مرة فى الجبهة الشرقية من قناة السويس منذ النكسة.

اللاعب محمد ناجي جدو اكتشفه كمال فريد كلاعب ناشئ بحوش عيسي وانتقل للعب لفريق دمنهور، وبعد اقتناع مدرب دمنهور به بدأت إدارة دمنهور التفاوض مع حوش عيسي لضمه، وبعد جهود مكثفة انتقل لدمنهور في عام ٢٠٠٢ بمقابل ٩ آلاف جنيه و٥ كرات وطقم فانلات. أثناء إحدى المباريات في عام ٢٠٠٥ شاهده هشام التركي - أمين صندوق نادي الاتحاد - وفتح باب المفاوضات مع إدارة دمنهور من أجل انتقال جدو الذى وصل سعره إلي ٣٥٠ ألف جنيه تم سداد ٢٠٠ ألف جنيه وتقسيط ١٥٠ ألفا علي مدار سنة.

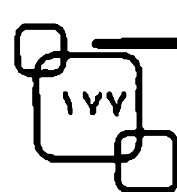
البطل عبد المنعم قناوى طلبت منه القيادة أن يقوم بعملية استطلاع خلف خطوط العدو فى عمق سيناء قبل أيام قليلة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ وفى الموعد المحدد نزل قناوى إلى قاربه المطاطى ومعه معداته فوق ظهره، وحين وصل إلى العمق كانت الأنوار الكاشفة لقوات العدو تمسح الخليج فتوقف القارب وكلما ابتعدت الأنوار تحرك القارب، استغرقت المناورة ٤ ساعات حتى وصل إلى الضفة الشرقية، فاستبدل ملابسه وبصحبة الدليل البدوى سار باتجاه موقع ممر «متلا» وفى موقعه المحدد جلس قناوى لينال قسطا من الراحة وبعد أن أدى صلاة الفجر جلس يستطلع المكان، بينما كان جهاز الراديو مفتوحا بجواره على إذاعة صوت العرب حسب التعليمات، وبعد نشرة السادسة فوجئ



بنداء عبر الإذاعة «من جمال إلى كمال.. نفذ سالم» فأسرع إلى جهاز اللاسلكي ونادى من «كمال إلى جمال.. حول» فكانت الإجابة: حمد الله على السلامة اثبت مكانك ونفذ مهمتك. ومكث ينفذ مهمته في رصد تحركات قوات العدو ويبلغ بمعلوماته عقب كل نشرة أخبار.

اللاعب ناجي جدو تميز في الدور الأول من الدوري المصري لعام ٢٠٠٩- ٢٠١٠ فلفت أنظار الجهاز الفني لمنتخب مصر ليتم ضمه لتشكيلة المنتخب، ليسجل أول أهدافه الدولية في مرمى مالي في المباراة الودية التي أقيمت في الإمارات استعدادًا لكأس الأمم الأفريقية لكرة القدم ٢٠١٠، واستطاع جدو إثبات نفسه بمشاركته كورقة رابحة في الشوط الثاني في كل مباريات المنتخب المصري في نهائيات كأس الأمم الأفريقية ٢٠١٠، فسجل في مرمى نيجيريا وموزمبيق رغم مشاركته لأقل من ١٥ دقيقة، كما أحرز هدفا في الشوط الإضافي الأول في مباراة مصر والكاميرون ليسهم في تأهل منتخب مصر للمربع الذهبي. وسجل الهدف الرابع في مرمى الجزائر في مباراة النصف نهائي التي انتهت بأربعة أهداف نظيفة، كما أنه سجل هدف الفوز في نهائي كأس الأمم الافريقية على منتخب غانا في المباراة التي أقيمت في أنجولا، وحصل بذلك على لقب هداف البطولة برصيد خمسة أهداف.

البطل قناوى عندما حدثت ثغرة الدفرسوار قررت القيادة أن يتجه إلى السويس من أجل جمع أكبر قدر من المعلومات عما يحدث داخل السويس، وإبلاغ القيادة بتحركات قوات العدو، حتى لا تتمكن من السيطرة عليها، بعد أن فشلت في السيطرة على الإسماعيلية، وارتدت من عزبة عطوة إلى الدفراسوار، من هنا تم دفعه عن طريق سلسلة جبال



عتاقة لدخول السويس يوم ١٩ من أكتوبر وظل فوق جبل عتاقة لمدة ١٠١ يوم لا يرتدى سوى ملابس الصيف و يشرب من ماء المطر ويأكل من حبات الأرز والعدس المتناثرة على سفح الجبل والمتبقية من الجنود، وأثناء وجوده فوق الجبل كان سبباً فى إنقاذ قيادة الجيش الثالث الميدانى من الدمار، عندما وجد خمسة من أفراد الجيش المصرى تائهين فى الجبل ويريدون الذهاب للقوات المصرية، وبالفعل قام بتوصيلهم، وأبلغ القائد أن هناك نقطة ملاحظة فوق القيادة مما يعنى أن العدو سيضربها مع أول ضوء، وبالفعل أمر القائد بإخلاء القيادة فوراً ليغادرها الجنود دون خسائر فى الأرواح أو المعدات قبل دقائق من قذف الطائرات الإسرائيلية للموقع.

جدو ـ لاعب الاتحاد السكندري ـ عاد من بطولة إفريقيا بطلاً قومياً.. الحديث معه انفراد.. وكلماته نصائح للشباب.. وتكريمه فرض على كل مسئول يحب مصر.. وعلى كل رجل أعمال يريد أن يسهم فى إنجاز المنتخب، لذلك قرر اللواء محمد شعراوى – محافظ البحيرة – تخصيص وحدة سكنية من إسكان المحافظة بمدينة دمنهور للاعب تقديراً لجهوده المخلصة مع الفريق القومي، ونفس الشيء فعله محافظ الإسكندرية باعتباره لاعباً فى أكبر أنديتها، هذا بجانب حصول اللاعب على أكثر من مليونى جنيه كمكافأة له من اتحاد الكرة ورجال الأعمال، وأصبح مطلباً جماهيرياً لكل الأندية التى تسابقت فى الحصول على توقيعه فقام بالتوقيع علي عقود لنادي الزمالك وحصل على مبلغ صغير مقارنة بحجم إمكانياته الكبيرة – التى ظهرت فى بطولة إفريقيا – وهو مليون جنيه فى السنة ومقدم عقد نصف مليون.

البطل قناوى عاد من حرب أكتوبر لا يملك شيئاً سوى إعانة قدرها ٤٩ جنيها من الشئون الاجتماعية يحصل عليها كل ثلاثة أشهر، ليس أمامه سوى أن يكافح من أجل أن يحصل على لقمة العيش له ولأولاده، لكنه رغم عمله المتواصل ليل نهار لم يستطع الوفاء باحتياجاته فتعرض للطرد من شقته الصغيرة (٦٣ مترا) لعدم قدرته على دفع إيجارها، و لم يستطع علاج ابنه عندما قطعت ساقه، فلجأ للعمل كسائق ميكروباص أجرة السويس رغم تجاوزه سن الخامسة والستين وإصابته بأمراض الضغط والسكر.

الفرق بين عبد المنعم قناوى و محمد ناجى جدو أن الأول بطل حقيقي، لكنه لم يجد راعياً للبطولة التى حققها، و لم ينقل التليفزيون أهدافه التى أحرزها "بدمه" خلف خطوط العدو.. أما الثانى فبطل من ورق، لذلك كان رعاة بطولته أكثر مما تخيل، والتليفزيون نقل أهدافه التى أحرزها "بحذائه" على الهواء لتشاهدها قارة بأكملها ويصبح بطلاً قومياً.

ليردد لسان حال البطل عبدالمنعم قناوى ما كتبه الخال عبد الرحمن الأبنودى فى قصيدته "الأحزان العادية"

قلت لنفسى وبعدين
راح تفضل كده لإمتى يا غلبان ؟
بتدارى إيه ؟
إيه باقى تانى علشان تبقى عليه ؟
وطنك ؟
متباع
سرك ؟

متذاع
الدنيا حويطه وأنت بتاع

***

إحنا شعبين..شعبين..شعبين
شوف الأول فين ؟؟
والتانى فين ؟؟
وآدى الخط ما بين الاتنين بيفوت



قراءات المؤلف

د. إبراهيم العيسوي ، الاقتصاد المصري في ثلاثين عاماً

احمد السيد النجار ، الانهيار الاقتصادي

احمد رجب ، أي كلام

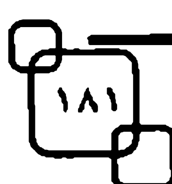
د. احمد عكاشة ، تشريح الشخصية المصرية

د. إحسان محمد الحسن ، علم الاجتماع الرياضي

إدوارد سعيد ، المثقف والسلطة

د. أكرم زيدان ، سيكولوجية المال

أنيس منصور، عبد الناصر المفتري عليه والمفتري علينا



توفيق الحكيم ، في الوقت الضائع

د. جلال أمين ، شخصيات لها تاريخ

د. جلال أمين ، ماذا حدث للمصريين؟

د. جمال حمدان ، شخصية مصر

خالد توحيد ، حكايات الدورى نصف قرن من الكرة والسياسة

د. خليل فاضل ، وجع المصريين

سعيد هارون عاشور ، أخبار المصريين في القرن العشرين

عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد

عبد الرحمن فهمي ، حكايات رياضية

د. عبد الودود شلبي ، الأزهر علي أين ؟!

عصام عبد الحافظ ، أسرار مشاهير الرياضية

محمد الغزالي ، الحق المر

محمد متولي الشعراوي ، الحلال والحرام

محمود السعدنى ، عودة الحمار

محمود السعدني ، مصر من تاني

د. محمود عبد الفضيل ، المثقف العربي همومه وعطاؤه

محمود عوض ، ممنوع من التداول

د. مصطفي البيومي ، رواد الاستثمار

نجيب المستكاوي ، الناس والكورة

نجيب محفوظ ، حكمة الحياة

د. نعمات أحمد فؤاد ، شخصية مصر

د. نعمات أحمد فؤاد ، أعيدوا كتابة التاريخ

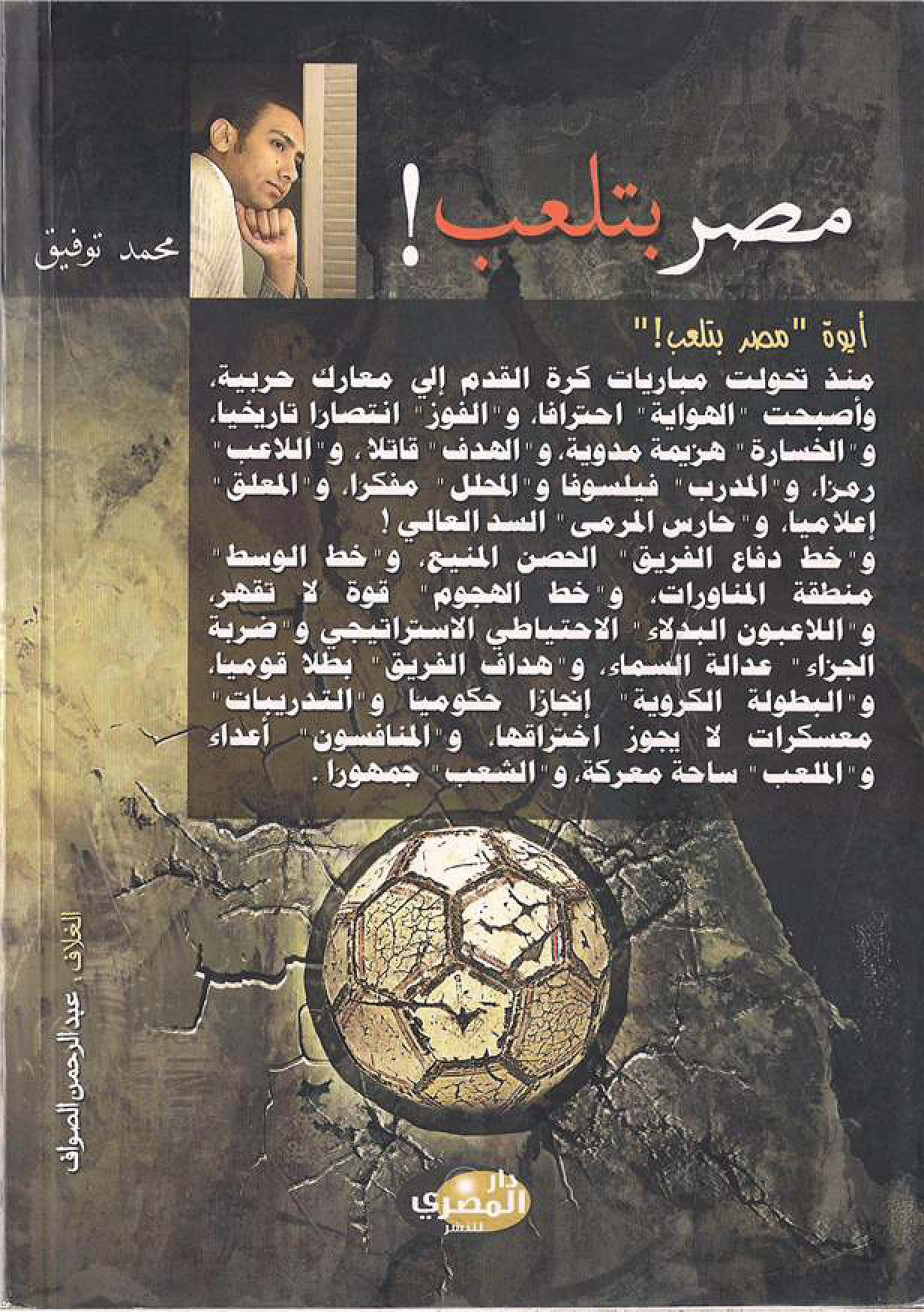
هربرت شيللر ، المتلاعبون بالعقول

يوسف إدريس ، أهمية أن نتثقف يا ناس

د. يوسف القرضاوي ، الحلال والحرام في الإسلام

مجموعة كتاب ، الثورة والرياضة

الفهرس



مصر بتلعب!
محمد توفيق
أيوة "مصر بتلعب!"
منذ تحولت مباريات كرة القدم إلي معارك حربية،
وأصبحت "الهواية" احترافا، و"الفوز" انتصارا تاريخيا،
و"الخسارة" هزيمة مدوية، و"الهدف" قاتلا، و"اللاعب"
رمزا، و"المدرب" فيلسوفا و"المحلل" مفكرا، و"المعلق"
إعلاميا، و"حارس المرمى" السد العالي!
و"خط دفاع الفريق" الحصن المنيع، و"خط الوسط"
منطقة المناورات، و"خط الهجوم" قوة لا تقهر،
و"اللاعبون البدلاء" الاحتياطي الاستراتيجي و"ضربة
الجزاء" عدالة السماء، و"هداف الفريق" بطلا قوميا،
و"البطولة الكروية" إنجازا حكوميا و"التدريبات"
معسكرات لا يجوز اختراقها، و"المنافسون" أعداء
و"الملعب" ساحة معركة، و"الشعب" جمهورا.
الغلاف: عبد الرحمن الصواف
دار المصري للنشر